الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة عمار ثليجي– الأغواط–
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والادب العربي

## مذكرة الماستر

تقديم الطالبة: فاطمة دحام

الميدان: لغة وأدب عربي

الشعبة: دراسات أدبية

التخصص: أدب عربي حديث ومعاصر

# صورة الوطن في الشعر الشعبي الجزائري

أعضاء لجنة المناقشة

| الاسم واللقب | الدرجة العلمية | الصفة |
|---|---|---|
| بوداود وذناني | أستاذ التعليم العالي | رئيســـــــا |
| الشايب أحمد ورنيقي | أستاذ التعليم العالي | مشرفا ومقررا |
| لخــضر ذيــب | أستاذ محاضر –أ- | مناقشـــــا |

السنة الجامعية

1442هـ /1443 هـ الموافق لـ 2020 م /2021 م

# شكر و تقدير

اللهم لك الحمد قبل أن ترضى و لك الحمد إذا رضيت و لك الحمد بعد الرضى نحمد الله عز و جل أنه وفقني إلى إنجاز هذا العمل المتواضع ونسأل الله أن ينفعنا والأمة به.

كما نتقدم بباقات الشكر والعرفان للأستاذ الفاضل الدكتور " ورنيقي الشايب"

على كل ما قدمه من توجيهات وقبل الإشراف على هذا العمل وعلى المعاملة المميزة التي خصني بها فجزاه الله عنا كل خير ان شاء الله

دون ان لا ننسى كل الأساتذة الذين استقينا من منابع علمهم ثمرات لا تفنى كل من الأساتذة عبد العليم بوفاتح و عثماني بولرباح وعبدالقادر بلغربي

كما أتوجه بالشكر الجزيل إلى كل اساتذة الكلية كل باسمه

كما نتقدم بالشكر الجزيل لجميع الأساتذة

و إلى كل من ساهم في إنجاح هذه المذكرة ولو بكلمة طيبة.

فاطمة دحام

# الإهداء

**بسم الله الرحمن الرحيم**

**الحمد لله الذي علم العلم ورفع أهل العلماء فقال:**

﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾

**إلى من يقدس شعلة العلم.....ويمجد جدوة المعرفة..... ويناضل دوما ويجاهد للنهوض بقيمة الحرف وعمق الكلمة.....**

**إلى روح أبي الطاهرة والنقية اليوم اهديك نجاحي هذا وأن تكون فخورا بابنتك رحمة الله عليك**

**وأهدي أيضا تخرجي هذا إلى نبع الحنان وإلى بلسم الشفاء وإلى القلب الأبيض**

**وإلى الصدر الحنون إلى من تذكرتني بالدعاء ليلها ونهارها**

**وإلى من لا أجد لها كلمات تعبر عنها أوفيها حقها أمي مراح عائشة الغالية أطال الله بعمرها وكتب الله لها دوام الصحة والعافية**

**وإلى إخوتي وأخواتي رحمة نوردين غنية وفاء نعيمة مرية**

**وإلى كل من طيب ومسعود وإلى أعز صديقاتي جميلة وصارة**

**أهدي ثمرة جهدي وحصيلة مشواري**

***إلى والديا الكريمين***

**إلى العائلة الكريمة**

***إلى كل من سلك طريقا يبتغي فيه علما.....**

**فاطمة دحام**

# مقدمة

من خلال ما عانته الجزائر إبان الحقبة الاستعمارية الفرنسية التي عرفت مقاومة شرسة من أبطال الجزائر كفاحا بالسلاح اختلفت المقاومة عند الآخرين كل بما يستطيع أن يقدمه فالطبيب يداوي الجرحى والمصابين والأهالي يقدمون المعونة التي يقدرون عليها من خلال الطعام والملبس، ليكون الاختلاف في ما يقدمه الاديب والشاعر حول الثورة ودعمها وتمجيدا لإنجازاتها وبطولات المجاهدين، فالشاعر يستمد شعره من الثورة التي تمنحه الكلمات وتطبع إلهامه بطابعها الخاص، وتزيده شموخا، وسموا، وإكسابه تلك المكانة من فضائها الرحب، الذي يمنح العقل سعة التفكير والتأمل، وإلهام وجدانه بعظمتها وصمودها وشدتها ومن ثم تصبح المقاومة الثورية مصدرا أساسيا، يستمد منها الشعراء كثيرا من أدوات إبداعهم وتفجر روائع الشعر على ألسنتهم، وتزيد من قدرتهم على التعبير ووصف مشاعرهم، وكل ما يحيط بهم، ولذلك نجد تعلق الشعراء بالثورة المجيدة، وحبهم لها الأمر الذي جعل من خيالهم والنسيج الأسلوبي في أشعارهم، حيث أنتجت شعرا ثوريا انعكست فيه القوة والشدة والعزيمة والإصرار، وأكسبته ملكة التشبيه التي كان لها دور في إثراء الشعر الشعبي الثوري التحرري.

ولقد زخرت الجزائر بالشعراء والادباء الذين أضاءت أشعارهم دروب الحرية في هذه المنطقة الأصيلة، وأنارت عقول الشعب بالوعي الوطني، وحمست وجدان الثوار ؛ ومن ثم فالشاعر الشعبي هو شاعر إصلاحي الفكر، وطني النزعة، ثائر على الظلم، عاشق للشعر والحرية مجيد في التغني بالوطنية والثورة، ممثل واقع مجتمعه وبيئته بكامل تفاصيلها، معبر عن كل شيء له علاقة بحياة منطقته.

كما استهواني هذا الخطاب الشعري الشعبي الثوري ببساطته، وعفويته، وحمله أم شعبه وكنوز ثقافتهم الموروثة بما يزخر به من عادات وتقاليد وأساليب الحياة اليومية، وبما يحويه من أسرار روحية، وتأملات فلسفية، وخلجات فكرية، وقيم تربوية، وهذا كله قد ساعدني على إظهار تجارب الشعوب في صنع الحياة والتاريخ.

ومن أسباب اختياري للموضوع محاولة جمع هذا الموروث للثورة المجيدة من خلال الشعر الثوري المعروف والمبني على أسس علمية هادفة، وبطريقة منظمة قائمة على قواعد مدروسة، فاخترت شعر الثورة من خلال الكتابات الخاصة بصورة الوطن وهدا من خلال الشاعر الثوري توفيق ومان الذي هو

من بين الشعراء والأدباء الذين رفعوا لواء النهضة والإصلاح، فأشادوا بالوطنية، وتغنوا بالحرية، وتبنوا المنهج الثوري التحرري الذي كان له أثره العميق في شحن وتنويع دلالات مضامين أشعارهم، فظهر دورهم الكبير، في بث الروح الوطنية الثورية التحريرية، في فترة غلب على الأمة الذل والقهر والاستعباد فأجادوا التغني بالوطنية والحرية، والثورة، ومثلوا واقع مجتمعهم وبيئتهم بكامل تفاصيلها. ولا شك أن لكل بحث اشكاليته التي تختصر بعده المعرفي، وتؤسسه تأسيسا علميا ومنهجيا، واشكالية هذا البحث، تبدو في الكشف عن التعامل مع صورة الوطن في الشعر الشعبي الجزائري من خلال الشاعر توفيق ومان..

وتطرح هذه الإشكالية مجموعة من الأسئلة الفرعية من أهمها:

ما هي أبعاد الوطنية في الشعر الشعبي عند توفيق ومان؟ وما هي أساليب ومنهجية الشاعر في كتاباته عن الوطن في شعره الشعبي؟.

ومن خلال الإشكالية السابقة، أمكن لي تحديد منهج هذا البحث الذي سيكون المنهج التاريخي من خلال أبعاده المعرفية والتحليلية، للكشف عن الإحالات العامة للبنيات النصية الشعرية على الواقع، في فترة زمنية بين مرحلة الاحتلال الفرنسي، في محاولتي تجلية معادلاته الأسلوبية، وألفاظه وصوره.

ولدراسة الموضوع الذي بين أيدينا قسمت الموضوع الى مدخل من خلال تقديم مفاهيم حول الموضوع حيث نتكلم فيه عن تاريخ الشعر الشعبي الجزائري والشعر الشعبي والمصطلح الملحون .

ثم كان موضوع الفصل الأول عن دور الشعر الشعبي في المقاومة فتطرقنا فيه الى المقاومة والثورة في الشعر الملحون من خلال المبحث الأول ووحدة الشعب وتضامنه مع بعضه من خلال المبحث الثاني .

أما الفصل الثاني فكان لصورة الوطن في الشعر الشعبي من خلال المبحث الأول للوطن والوطنية في الشعر الشعبي ثم نواصل في المبحث الثاني حضور الوطن في الشعر الشعبي وفي آخر المبحث نتكلم عن دلالة وأبعاد الوطن في الشعر الشعبي من خلال الشاعر توفيق ومان .

ولا يمكن أن يكون البحث دون صعوبات تذكر فكان الوقت ليس في صالحنا وكذلك الظروف الصحية التي تعيشها البلاد من خلال جائحة كورونا وكذلك عدم التمكن من الحصول على المراجع دائما الامر مرتبط بالظروف وحالات الغلق والحجر... الخ

في الأخير ختمنا الموضوع بخاتمة أجملت فيها أهم النتائج المتحصل عليها من خلال مجموعة الفصول المقترحة.

كما لا يفوتني تقديم الشكر لكل من قدم يد العون لإنجاز هذا البحث وتقديم جزيل الشكر على الخصوص الأستاذ الشايب ورنيقي على تعليماته وتوضيحاته الذي لم يبخل علي بقديم النصائح والملاحظات العلمية السديدة.

# مدخل

كثيرا ما اختلفت تعاريف الوطن وما يعنيه في قواميس اللغة القديمة على أنه «منزل الإنسان ومحل إقامته»[1]، وتضيف بعض المعاجم الحديثة «وإليه انتماؤه ولد به أو لم يولد»[2] .

ولقد كان الوطن منذ فجر التاريخ ولا يزال، قضية متجذرة في أعماق الوجدان، فالوطن هو وعاء لأفراد تواطؤا على محبته، وإن اختلفوا فيها وبها، وإن كان البيت باعتباره مكانا هو ركننا في العالم وكوننا الأول على ما رأى باشلار، فالوطن هو ركننا الثاني، والحاوي لكوننا الأول، إنه يحمل ماضينا ونعيش فيه أحلامنا، ويوميات حاضرنا.

والنّظم في الوطن لم يبارح الشعر على مر العصور، وقد استأثر بنصيب وافر من التراث الشعري العربي القديم عموما والحديث خصوصا، لأن الشاعر الحديث عاش هم مجتمعه، وتأثر بجملة من القضايا المُلحة في وطنه، وهو من خلال شعره، يؤسس لمشروع تغيير ينطلق من رؤية جديدة، تتماهى مع الفعل تجاه الحياة وآفاقها الجديدة.

فالأدب والشعر لم يخلوا من الوطن وتأجيج الثورات ودعمها ولو معنويا، فالأدب الذي يثير العواطف والحواس فردية كانت أم جماعية، لكن القليل منه ما ينقل هذا التأثير النفسي والجمالي فيحدث التغيير والتغير. فقد أدت الكلمات الشعرية والنثرية على حد سواء دورا فعالا في الحروب منذ القديم كالتي عرفتها العرب البائدة وإلى عصورنا؛

وما أن وطئت أقدام المحتل الفرنسي الجزائر حتى كان الشاعر بالمرصاد، فعن غزو مدينة الجزائر قال الشاعر الشعبي عدة بن بشير:

جات سفون الفرنسيس من كـــل مكـــان  غطـــــات المـــــوج لـــــيس يظهـــــر

[1] لسان العرب مج 15 ص 338 مادة وطن، ، والقاموس المحيط ص 1598

[2] مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، 2014 ، ص 1085.

إذا كان المحتل من خلال سياسته الاستعمارية الاستيطانية قد تمكن من هدم المساجد والمدارس، عمدا الى سياسة التجهيل، كما منع تدريس التاريخ الجزائري في المدارس التي سمح لها بمزاولة عملها، ورغم هذه الهجمة الشرسة لم يستسلم الشعب، فقاوم بالسلاح تعبيرا عن رفضه تارة، وأخرى بالكلمة والمكتوبة الشفوية، هذه الأخيرة التي لم يستطع المحتل أن يتحكم فيها بعد ما حارب الثقافة المكتوبة.

لم يفارق الشعر المقاومة المسلحة التي عرفتها أرجاء الوطن، ولما كانت تخفت المقاومة بقي هو مشتعلا يلهب الجماهير ويزرع فيهم روح الفدا، وهذا الشاعر محمد العيد آل خليفة يؤكد ذلك بقوله:

لقـــد بـــذر الشـــعر فيـــه الفـــدى وحســـــــبك الشـــــــعر بـــــــاذرا[1]

أما الشاعر رمضان حمود، فلم يكن شعره أقل خطر عن خطر السيف، إذ يقول:

وشعري كالحسام يصون عرضا بلا حرب عوان ونضال

يصادم من يعيث بمجد قومي ويطعن ذا الضلال بلا نزال

فتشكلت " المقاومة الأدبية التي كانت تأتي على ألسنة الشعراء والمداحين وشعراء الشعر الملحون الذين كانوا يجتمعون بمناسبة المواسم والأسواق وغيرها ليثيروا عواطف الناس ويذكروهم بالغزوات والفتوحات الإسلامية بكلام موزون يستحثون هممهم ويثيرون فيهم الحماس ليثبتوا على جهادهم ونضالهم ضد المستعمر الغاصب"، ومن هؤلاء الذين ألهب شعرهم المشاعر، الشاعر محمد بن دويدة القائل:

فكم كهرب الشـــعر مغلوبـــا علـــى الـــوطن فجـــرد الســـيف يتلـــو آيـــة الغلـــب

أما الشاعر عبد الكريم العقون فيدعو صراحة إلى ابتغاء العلا والمجد الذين لا ينالان إلى بالتضحيات الجسام، فقد قال :

[1] د. العرابي محمد، جامعة طاهري محمد ببشار، الوطن والوطنية بين الشعر الشعبي والفصيح، مجلة كلية التربية الاساسية للعلوم التربوية والانسانية ، جامعة بابل، العدد 41، كانون أول، 2018، ص 660.

يـــا فتيـــة الـــوطن الكـــرام وجنـــده هبـــوا إلى العليـــاء لا تتـــأخروا

جـــدوا فـــإن الشـــعب يخلـــغ قيـــده رغـــم الطغـــاة، وبـــالحقوق ســـيظفر

إنه الشعر الذي اختص بالثورة وشحذ الانفس للمقاومة وقد يكون الوسيلة الوحيدة التي تمتلكها الجماهير الشعبية من أجل إدراك العلم ونقل المعرفة وتوجيه السلوك "؛ وبذلك تعددت أدواره من الإعلام والدعاية إلى حشد الهمم وشحذها والدعوة إلى الانضمام إلى الثورة.

لم تكن سلطات المحتل غافلة عن خطورة الشعر فصيحا كان أم شعبيا، ودوره في تأجيج وإذكاء نار العداوة والدفع على المقاومة؛ لذلك " حاربت السلطات الفرنسية المداحين أو القوالين، وراقبت نشاطهم؛ لأنهم كانوا نقلة هذا الشعر ومروجيه، وكان معظمهم من الشعراء المرتجلين " الذين أدركوا هذا الدور، وقاموا به، ولأن" الشعر بصورة من الصور هو فن الذيوع والانتشار لما يحتويه بناؤه الموسيقي في اختيار الكلمات وطريقة وضعها إلى جانب بعضها البعض من قدرة على الانتقال من الفم إلى الأذن إلى القلب "، ومن ثمة إلى حمل السلاح، والالتفاف حول الثورة التي فجرت ينابيع الشعر، فقد ذكر الشاعر أحمد الغوالمي (1920-1996) السبب الذي ألهمه ذلك، حيث قال: "أن الثورة اندلعت والرقابة على الصحف ازدادت ضراوة، فارتأيت أن أتنفس الصعداء وأخرج ما في باطني من تأثير عميق من الأحداث والأزمات التي تجري أمام أعيننا"، ؛ فالشعر شعور والتزام.

إن الأدب عموما ليس خيالا، وإنما قضية ورسالة وتعبير عن رؤية الشاعر عما يدور في محيطه من صراعات، فهذا الشاعر محمد سعيد الزاهري يبين هدفه قائلا:

إلا تـــــيقظ أمـــــتي وبـــــلادي مـــا كـــان لي مـــن حاجـــة ومـــراد[1]

[1] د. العرابي محمد، المرجع السابق، ص 661.

فمن هذا المنظور يستحيل نكران دور الشاعر الفصيح أو الشعبي في تصويره، وتعبيره، ودعوته إلى الجهاد دفاعا عن الوطن، ومواجهة المحتل، فإن كان الشاعر الفصيح متمتعا بثقافة وعلم يمكنه من الاطلاع على الأحداث، "فقد واجه الشعراء الشعبيون بأميتهم وثقافاتهم المحدودة الغزو الثقافي والحضاري الذي تعرض له الشعب الجزائري "[1]، فلم يكونوا غائبين عما عرفته الجزائر من الأحداث الكبرى في تاريخها، فلقد رافق شعرهم جيوش المقاومين منذ أن وطئت أقدام الاحتلال المدنسة الجزائر، فما خلت منطقة من الأهازيج المؤيدة للنصر، وتسجيل المعارك البطولية التي خاض غمارها الأبطال في كل واد وجبل فلم يكن يبحث عن مال أو جاه، وإنما كان يهدف من وراء شعره إلى تصوير مأساة غزو استعماري، استهدف دينه وثقافته وعرض حياة مواطنيه إلى البؤس وحول أمنهم إلى خوف ورعب وشقاء ودمار".

كان الشعر الشعبي يصور دائما الفعل الشعبي الذي أثارته الوقائع السياسية الهامة منذ دخول الفرنسيين الجزائر، عام 1830 مما أصبح شاهدا على مأساة الشعب الحقيقية وأثار المقاومة العنيفة من طرف القوى الوطنية وفي قلبه نداء الشاعر إلى النضال المسلح، فالشعر الشعبي من الفنون الأدبية التي صمدت أمام ثقافة العدو الفرنسي باعتباره معبرا عن روح المجتمع الجزائري، رغم أن هذه الأشعار الشعبية" ليست نابعة من فلسفة سياسية، وإنما ارتدت ملامح السياسة، وأشارت إلى القضايا بالفن الشعبي بالسذاجة الحلوة وعفوية الخاطر السريع، وانطوت على إرادة في التغيير إلى الأفضل"، يقول الشاعر في قصيدة شمال إفريقيا:

گـــذا مـــن قبطـــان لحناهـــا في بـــير عيطـــة منـــها غـــير بـــالخوف تهلـــك

كتتلاقـــاو نقـــود وهـــم كلـــبعير ويـــن بغيـــت تقـــول لـــو بـــرك يـــبرك

[1] د. العرابي محمد، المرجع السابق، ص 661.

لقد وقف الشعراء الشعبيون ضد المحتل في صف واحد بحماسة عربية إسلامية وندبوا الماضي الجليل، واستحثوا الهمم، وهجوا من تعامل مع المحتل، وفي ذلك قال الشاعر الشيخ محمد جماعي مشيدا بشباب الثورة، وهاجيا المتخاذلين الذين خاب سعيهم و لم تربح تجارتهم :

الله يعلن الباعة والـــــــــرادِيين والطماعـــــــــة وفي فرنســـــــــــا تباعـــــــــــة

يجـــــــرو جريـــــــان بـــــــلا وعيـــــــان يظل كالكلب يهمسس وفي الغيب يظل يجوسس

إلا لقـــــــــاهم يجـــــــــي فرحـــــــــان يقـــــــول لـــــــو ريـــــــد تســـــــربي

يقول باش نخلـــف عرقـــي ولا تليـــت نطلـــق عـــربي راني قريـــــــــــــب للقبطـــــــــــان

يشوف الدقيق ينصرع يخف خاطر ويترفع يبان لك يروبع ويزيـــــــــــــد للكتـــــــــــان

لم تنطفئ شعلة حب الوطن في نفس الشاعر الشعبي، بعد الاستقلال، فإن كان قد هجا الخونة والموالين للمحتل، وتغنى بالحرية ومجد من ضحوا من أجلها، إلا أنه لم يقف على الحياد تجاه من خانوا ثقة الشعب التي وضعت فيهم بعد أن سطعت شمس الحرية، فهم في نظره لا يقلون خيانة عن الخونة السابقين فخيانة الوطن واحدة سواء أكانت قبل الاستقلال أم بعده.

وهذا الشاعر الشعبي يستنكر تصرفات بعض من تقلدوا المسؤوليات خاصة ممن تطاولوا على غيرهم بالجهاد، حيث كان ينتظر منهم الوفاء بالعهد الذي من أجله دفع الشهداء ضريبة الدم، إلا أن ظن الشاعر خاب في بعضهم وقد تناول هذا الموضوع الروائي الطاهر وطار في عمله الرائع " الشهداء يعودون هذا الأسبوع"، و لم يفت الشاعر محمد العيد آل خليفة أن تناول هذه القضية فقال في عيد الأضحى لسنة 1384ه الموافق لسنة 1965م، عندما وقف مترحما على أرواح الشهداء بمقبرة الأوراس:

واخلفوهم بالصدق في خدمة الشعب وفي أهلهم وفي الأبناء إنهم أوفوا العهود فهل أنتم لميثاقهم من الأوفياء ؟[1]

أما الشاعر الشعبي (الشيخ) مسعود الذي عاش هو الآخر الأحداث نفسها قال :

گسار القول لا يـــوفي مرغـــوب يعيي بالكذوب والفعل الـــرادي

[1] د. العرابي محمد ، المرجع السابق، ص 662.

إن كان الشاعر محمد العيد آل خليفة أكد وفاء الشهداء بالعهد، فقد أكده الشاعر الشعبي (الشيخ) مسعود كذلك، فوفاء هذه الفئة من الشعب لا مراء فيه لأنهم قدموا أرواحهم وهي أغلى ما يملكه الإنسان، لكن الباقين وكل من لازال يدب على الأرض غير مأمون المنقلب إلى إن يوارى التراب:

لا تشكر في الناس سراق الشعوب ولـــو كـــان يعطـــي في الأوراد
جدادين الثوب والقلـــب مجعـــوب واجبهم بالسلام وعليهم غـــادي[1]

عاش الشاعر حتى رأى ما كان من أمر البعض، فلم يعد يثق فيهم ولو كانوا من العابدين، وبـــذلك يكون الشاعر قد اسقط من حسابه المتسترين. إنها صفة النفاق السياسي حيث لهم القدرات على تجديد مظهرهم الخارجي الذي أشار إليه الشاعر بالثوب بينما قلوبهم " مجعوبة" فارغة مما ذهبت بـــه قلـــوب الشهداء.

لقد عاش الشاعر (الشيخ) مسعود أحداث الثورة ورأى من صور البطولات ما يضرب بـــه المثـــل، وشاء القدر أن يتفيأ ظلال الاستقلال، لكنه بحسه المرهف وحدة ذكائه تنبه إلى أن البعض يحسن القول دون الفعل، وأن ليس كل من كان يتغنى بالمبادئ يستطيع أن يبقى عليها، وفي استياء مما رأى، لا يعترف بالوفاء بالعهد إلا للشهداء وإن كان الشاعر مبالغا في ذلك، ويصل به الأمر إلى قطع الصلة بمثـــل هـــذا النوع فلا يكلمهم مؤكدا ذلك في قوله :

واجبهم بالسلام وعليهم غادي

[1] د. العرابي محمد ، المرجع السابق، ص 662.

# الفصل الاول

# الشعر الشعبي الجزائري

## 1- تاريخ ظهور الشعر الشعبي الجزائري

إن الحديث عن تاريخ ظهور الشعر الشعبي سواء باللحن العربي مشرقا أو مغربا وبالجزائر على وجه الخصوص ويعد من الموضوعات التي يصعب الفصل فيها، لأن المصادر والمراجع المختصة جميعها لا تفصل – في الكثير من الأحيان – بين (اللحن) كظاهرة لغوية طارئة على اللسان العربي في التاريخ. وبين (تاريخ ظهور قصيدة الشعر الشعبي) كلون له فنيات وأشكال جديدة لم يألفها القارئ العربي.

فمن الدارسين العرب الذين تحدثوا عن الشعر الشعبي ونشأته الأستاذ مصطفى صادق الرافعي الذي عبر عن جهله لتاريخ نشوء هذا الشعر فيرى أنه لا يعرف بالتحقيق أصل الشعر العامي ولا منشأه، ولكنه يحتمل – وفقط – قدم نشأته وتاريخ ظهوره فيرجعها الى أخر القرن الاول للهجرة .[1]

ولكن في الحقيقة أن فترة أواخر القرن الأول وبداية القرن الثاني للهجرة هي فترة ساد فيها الحديث عن (اللحن) كسلوك لغوي جديد طرأ على اللسان العربي وجعل اللغويين العرب قديما يطرحونه ويعالجونه لحفظ السنتهم منه.

أما عن الدارسين في المغرب العربي والذين تناولوا الموضوع وطرحوه وتحدثوا عنه بجرأة كبيرة محمد المرزوقي الذي يحتمل تاريخ الشعر الشعبي أقدم من التاريخ الذي إحتمله الرافعي إذ ربط المرزوقي هذا التاريخ بالأراجيز المنظومة بلهجة غير فصيحة في العصر الجاهلي ثم اعتبر هذه اللهجات مبدأ اللحن الحادث في اللغة والطارئ على ألسنة أهلها، وهو ما جعله – أي المرزوقي –، ينحرف في طرحه ونقاشه من الحديث عن (الملحون) إلى الحديث عن (اللحن) وذلك من خلال ما أورده في كتابه "الأدب الشعبي" أن: "هذا اللحن لا يستطيع تحديد الزمن الذي حدث فيه، إذ أن الروايات التي وصلتنا تقص علينا أن اللحن في اللغة قد سمع في عهد الرسول (صلى الله علي وسلم) وفي العهود التي تلت ذلك العهد والظاهر أن المرزوقي في هذا الرأي لا يتحدث عن الشعر الشعبي بقدر ما يتحدث عن (اللحن) في اللغة العربية، وبالخصوص عن الظواهر اللغوية عند العرب، والتي تفطن اليها الأولون وأول من أشار إليها

1 لخضر لوصيف، الشعر الشعبي الجزائري، قضاياه واشكالياته ،دراسة، ج1، المطبعة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2015، ص 27.

منهم الخليل بن أحمد الذي اعتبر هذه الظواهر صرفية أو لفظية كانت أو صوتية أشكالا لغوية فصيحة أصيلة لأنها تمثل صورا لهجية قبلية تحدت في الغالب اعتياطا دون أي قاعدة تحددها سوى الرغبة في تخفيف اللفظ فالناطق فطرته ميال إلى السهولة في الكلام ، أما إذا عدنا إلى الدراسات المختصة في الجزائر والتي أصبح لها السبق في التاريخ للشعر الملحون الجزائري على الخصوص نجد أن الكل يستصعب هذه النقطة ويكاد يجمع باحثوها على صعوبتها كالدكتور الركيبي – مثلا – الذي يرى أنه "من الصعب أن تحدد عنصرا معينا لنشأة هذا الشعر في الجزائر أو في غيرها من البلدان العربية، أما التلي بن الشيخ فيحمل الميدان الدراسي مسؤولية عدم معرفة هذا التاريخ وكذا خلو الساحة العلمية من دراسات مختصة فيقول: "والواقع أن معرفة الشعر الشعبي الجزائري من الصعب الوصول فيها إلى رأي قاطع لا يقبل الاحتمال ،ذلك أن الدراسات التي تناولت موضوع الأدب الشعبى تكاد تكون معدومة"[1].

في حين نجد الأستاذ العربي دحو من الدارسين من بحثوا أيضا المصطلح والنشأة معا، وعبروا حرف عن صعوبة تحديد مصطلح الشعر الملحون كصعوبة أولى ثم عن صعوبة أخرى: "لها حظ في هذا الاختلاف عن المصطلح تأتينا من نشأة القصيدة الشعرية الشعبية نفسها في شمال إفريقيا عموما، وفي الجزائر خصوصا"

ولكن إذا حاولنا مناقشة آراء هؤلاء الباحثين فإننا نجدهم بالقدر الذي عبروا فيه عن صعوبة هذا الموضوع، تحفظوا بشأن تقديم تاريخ ظهور قصيدة الملحون الجزائري.

فالركيبي – مثلا – يرى بأن: "الشعر غير المعرب جاء مع الفتح الإسلامي ثم انتشر بصورة واضحة بعد مجيء الهلاليين إلى الجزائر حاملين معهم لهجاتهم المتعددة حيث تغلغلوا في الأوساط الشعبية وساهموا في تعريب الجزائر بصورة جلية اعترف بها كثير من الدارسين بحيث أصبح الأدب الشعبي منذ ذلك الوقت ثمرة من ثمار الثقافة القومية وهو يؤرخ للشعر الملحون بالمغرب فيرجعه الى "انتقال نماذج الشعر الذي عرف في الشرق ووصلت منه نماذج ترجع إلى القرن الرابع للهجرة سواء عند القبائل التي كانت تعيش في الشرق أو التي كان تعيش في إفريقيا".

[1] لخضر لوصيف، المرجع السابق، ص 28- 30.

ولكن الذي تحدثت عنه المصادر، ونفت مشرقيته تماما. واعتبرته: "من الفنون التي أغرب بها أهل المغرب على أهل المشرق، وظهروا فيها كالشمس الطالعة والضياء المشرق". هو الموشح الذي ارتبط اسمه بالمغرب نشأة ومهدا وتطورا.

كما نجد من الدارسين من يضرب صفحا عن القول بمشرقية نشأة الموشحات مع نسبة اختراعها إلى ابن المعتز العباسي ويؤكد مغربيتها ونسبتها إلى أهل المغرب فيرى: "أن هذه الموشحات، مما ترك الأول للآخر، وسبق بها المتأخر المتقدم وأجلب بها أهل المغرب على أهل المشرق"[1].

ولذلك فإن الحديث عن مغربية الموشح هو – ضمنيا – حديث عن الشعر الملحون الجزائري لأن الجزائر تتوسط المغرب ككل من حيث موقعها، ويضاف إلى ذلك أن الظروف السياسية السائدة – آنداك – لم تكن فيها فواصل بين الأجزاء الجغرافية للمغرب كما هو الآن، ولذلك لم يسجل الدارسون الشعر المغرب حدودا وفواصل فنية بين أقطار المغرب وإنما كانت ثقافة دول المغرب متشابهة الى حد كبير، وهذه من الصعوبات التي واجهها دارسوا الشعر الملحون لكل قطر من أقطار المغرب العربي عامة ودارسوا الشعر الملحون الجزائري خاصة.

والأستاذ أحمد الأمين من الباحثين الجزائريين الذين يربطون بين الإبداع الشعري الملحون والموشح ومدى ما للموشح الأندلسي من أثر في الشعر ويقصد هنا: "بصفة خاصة ما أطلق عليه مصطلح الشعر الملحون في ظل قيم فنية ورثها عن الشعر العربي القديم، وكان للموشحات والأزجال الأندلسية تأثير كبير فيه، وهو مع ذلك متميز بمقوماته الخاصة، وبخصائصه اللهجة المحلية سواءا منها العربية أو النابعة من طبيعة اللغة العربية ."

ومهما يكن فإن الدارس أشار في هذا الرأي وجود خصائص فنية مشتركة بين الموشح وقصيدة الملحون- ولكن تاريخ ظهور الملحون يبقى أمرا مبهما تضاربت حوله الآراء وجعلت البعض من الباحثين يعتمدون أسلوب البحث عن أول نص شعري أصلي ملحون – في ظل غياب الحقائق التاريخية لنشأته –، ليكون اعتماده وثيقة أو دليلا ماديا للانطلاق منه في تحديد أول ظهور للنص الأدبي الشعبي عموما، والشعر

[1] لخضر لوصيف، المرجع السابق، ص 32.

خصوصا، هذا النص الذي يراه الأستاذ العربي دحو يشكل: "محط أنظار الباحثين ومحل جدال واختلاف، حتى نعثر على وسائل مادية تثبت هذا الأصل بكيفية أو بأخرى"[1].. والمنهج نفسه اعتمده الأستاذ أحمد الأمين حين ربط تاريخ ظهور الشعر الملحون الجزائري بأول نص شعري ملحون يمثل أي رد فعل ضد الاحتلال الأجنبي عبر مراحل التاريخ من خلال قوله أن : "أول ما يلاحظه المرء في هذا الشعر بخصوص مضامينه ووظيفته وما أداه من دور سياسي يتعلق بتغنيه بقيم المجتمع وبعناصر هويته وبما عبر عنه من مواقف مقاومة للاحتلال الأجنبي ولما عاناه الإنسان الجزائري من جراء ظلم المحتل وجبروته واغتصابه لحق الانسان الجزائري في الحياة الكريمة على أرضه" .

والذي استقر علية رأي الباحثين في نشأة أول نص شعري جزائري ملحون هو كل ما احتفلت به الذاكرة وقيل –حسب الأستاذ الأمين –، بصدد الرد عن أشكال الاحتلال والظلم من :"أشعار كل من الأخضر بن خلوف، التي عبرت من مواجهة الإحتلال الإسباني للشواطئ الجزائرية الغربية. وكذلك أشعار المنداسي وابن مسايب المتعلقة بمظالم الأتراك، ومعاملتهم الجائرة للسكان في تلمسان وكذلك اشعار محمد بلخير المتعلقة بمقاومة سكان منطقة الغرب الجزائري للاحتلال الفرنسي".

فالذي يبدو من قول الأستاذ الأمين أن الأخضر بن خلوف هو أول شاعر من شعراء الملحون يرد على مواجهة الاحتلال الإسباني بشعره، وهو الرأي نفسه نجده عند الأستاذ العربي دحو الذي ينطلق فيه من نص شعري ملحون عثر عليه حيث رتب فيه صاحبه شعراء الملحون ترتيبا تاريخيا وفكريا وخلص فيه إلى أن "الأخضر بن خلوف هو صاحب الريادة في الشعر الملحون الجزائري ".

ولكننا إذا أستثنينا من شعراء الملحون اسم الاخضر بن خلوف الذي أعتبره الدارسون بداية اللسان والملحون ومثل وحده جيلا واجيال طيلة زمن، واكتسب في الملحون الجزائري الريادة والتمثيل لأن المصادر لم ترد نصا لغيره سابقا له او عاصره – على الأقل – وشاركه فن القول، فإن الاستاذ احمد الامين يعتبر الظهور الحقيقي للملحون الجزائري كان بعد الأخضر بن خلوف، بمدة، وربط رايه بظهور جيل من الشعراء ظهورا متلاحقا ،وعرف الشعر انتشارا في كامل التراب الوطني، وهي الفترة التي بدأ

[1] العربي دحو: «الشعر الشعبي ودوره في الثورة التحريرية». المؤسسة الوطنية للكتاب. الجزائر. 1989، ص: 39

فيها الانسان الجزائري يتذوق الشعر ويحس بدوره الوطني، والأستاذ أحمد الأمين من الذين يشهدون بفضل الموشح في هذا الظهور الشعري للملحون الجزائري فيرى أن الوشح قد : "منح الشعر الملحون في الجزائر مكانة متميزة في نفوس الجزائريين وجعله على كل لسان خاصة في فترة ازدهاره خلال القرون الأربعة الماضية التي برز فيها فحول الشعر الملحون من أمثال : المنداسي وبن تريكي وبن مسايب ومصطفي بن براهيم ومحمد بلخير وبن قيطون وبن يوسف وغيرهم من الشعراء الذين ظهروا في مختلف مناطق القطر الجزائري".[1]

وفي إشارة منه إلى العام (460 ه 1067 م) تاريخ دخول الهلاليين إلى الجزائر، في حين يتحفظ التلي بن الشيخ بشأن هذا التاريخ وينطلق فقط مما يحمله هذا الشعر من: ''روح الطابع الإسلامي، وهو ما يرجع القول بأن ما وصلنا من الشعر الشعبي بعد الفتح"، ثم يحتمل وجود شعر ملحون جزائري سابق للإسلام انطلاقا من : "وجود شعب سابق للإسلام له لغته وعاداته وتقاليده يتطلب بالضرورة أن يكون لهذا الشعب شعر يعبر عن وجدانه وحاجاته".

ويظهر من خلال الرأيين أن مجيء الهلاليين كان، وباعتراف الدارسين من أجل تعريب الجزائر، أما إذا ربطنا الشعر بالروح التي يحملها – في الرأي الثاني –، كمقياس لتحديد عصر أي شعر فإن الروح هي متغيرة بين الشعراء في العصر الواحد فالشعر المطبوع بالروح الدينية الإسلامية – مثلا –، ليس بالضرورة هو شعر الفتح الإسلامي، والعكس.

## 2- مصطلح الشعر الشعبي ونمطه:

يرى التلي بن الشيخ أن مصطلح الشعر الشعبي، جاء من نسبته إلى الشعبية، وهي صورة اجتماعية وثقافية تتغير بظروف المجتمع، وتكتسب مقوماتها من واقع حياة الناس... وعلى هذا الأساس ينبغي أن

[1] العربي دحو، المرجع السابق، ص 42.

ننظر إلى مفهوم الشعبية" في إطار رؤية الطبقات التي حافظت على الشعر الشعبي عبر التاريخ الطويل، وأضافت إليه في كل مرحلة سد من التغيرات، حسب ظروفها، وأوضاعها، ومزاجها، وذوقها».[1]

في مقابل ذلك كان عبد الله ركيبي أكثر دقة في اكتساب اللفظة دلالتها، حين يقول

والشائع أن صفة الشعبية في الأدب تنصرف إلى ماله عراقة، وقدم، وإلى ما يعبر عن روح الجماعية بالكلمة، بحيث يصبح هذا الشعر تعبيرا عن وجدان الشعب، وعن قضاياه" وقد جاء تحديد صفة الشعبية عند أحمد قنشوبة بقوله «أن النصوص تكتسب صفة الشعبية، من خلال نجاح الأديب، أو الشاعر، في التعبير عن روح الشعب وذاتيته، وتسجيل ما يريد الشعب آن يقوله، وما يهتم به، لا ينبغي أن تصبح ذات الشاعر هنا عائقا أمام نجاحه في هذا السياق إذ قد تهوم به في موضوعات موغلة في الذاتية، مما يحرم نصه من أن يكون شعبيا، والواقع أن ناظم هذا اللون من الشعر، كان يهدف إلى مسايرة ثقافة الملتقى البسيطة و مرجعيته المعرفية، التي أملتها عليه ظروف الحياة، وهذا ما جعل أشعاره في متناول فهم جميع طبقات الشعب، لأنها تعبر عن آمالهم، وآلامهم، فتجاوزت قائلها لتشيع بين الناس، وتستحوذ على قلوبهم، وتأخذ مكانة خاصة في نفوسهم إذ أنهم يحبون الاستماع إليها ويحفظون منها الكثير، وتجري على ألسنتهم مجرى الكلام المقدس... ومعنى هذا أن «النص يصبح ملكية عامة بين أفراد المجتمع، ويغدو معلما أدبيا دالا عليها، وتراثا ثقافيا يعتز به الافراد ولا يملون من ترداده، لأنهم يحسون أن فيه من المميزات، والمضامين ما يعبر عنسهم، وحاجاتهم، وأشواقهم، إنهم يجدون أنفسهم التي أحسن الشاعر أو الأديب في التعبير عنها».

والى مثل هذا الرأي يذهب الدكتور العربي دحو بقوله « والحقيقة أن الاعتماد على صفة الشعبية وحدها، وعلى معرفة المؤلف أو عدم معرفته لا تكفيان لنفي مصطلح الشعبي على هذا الشعر، لأننا نجد أشعارا مدرسية نعرف أصحابها، كتبت بلغة رسمية، لكنها أصبحت شعبية، نتيجة للتداول العام، الذي

[1] التلي بن الشيخ، دور الشعر الشعبي في الثورة التحريرية 1830 إلى 1945، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983. ص371.

مس هذه الأشعار، وعلى سبيل المثال نجد أميين يرددون ابياتهم لشوقي، والشابي، والمتنبي، ومفدي زكريا، وابن باديس وغيرهم».

فالآراء المتقدمة كلها، أجمعت على عدم خضوع الأدب الشعبي لمقاييس ومعايير، ورفض جل الباحثين وضعه داخل حدود ضيقة، فهو أدب أصيل يختلف في بنيته اختلافا عميقا عن الأدب الذاتي الرسمي، الذي يكتب لمدح ملك أحيانا، أو أمير، أو للتعبير عن وجهة نظر مؤلفه، التي قد تكون بعيدة كل البعد عن هموم شعبه؛ فالأدب الشعبي أدب يعبر عن هموم الشعب كله، ومشاكله الاجتماعية والسياسية، وتذكرنا طريقة كتابته وتداوله بنظرية الكاتب المسرحي الألماني، بريخت الذي دعا الممثلين إلى التعاون والاشتراك في كتابة المسرحية التي يريدون تمثيلها، ثم دعا إلى إشراك جمهور المشاهدين في العرض المسرحي، فشكل بنظريته التقدمية هذه الثورة في عالم المسرح.

فالأدب الشعبي نتاج تشاركت الجماعات في كتابته، بشكل مباشر، أو غير مباشر المشاهدون في تقديمه، ولعب أدواره وتكتسب النصوص صفة الشعبية، من خلال نجاح الاديب، أو الشاعر، في التعبير عن روح الشعب، وذاتيته وتسجيل ما يريد الشعب أن ما يهتم به.[1]

و يختلف الأدب الشعبي عن الأدب العامي اختلافا جوهريا، فالأدب العامي يعتمد اعتمادا أساسيا على اللغة العامية المتداولة، إذ يشترط فيه أن يكون لفظه ملحونا، عاطلا عن الاعراب، بعيدا كل البعد عن التزام الفصحى التي هي أساس الأدب الرسمي، وإلا لما وجد فرق بين الأدبين العامي، والفصيح، فالأدب العامي كالأدب الفصيح، يعبر عن خلجات شخص معين، وتطلعاته، فهو أدب شخص بعينه، يعبر عن مشاعره باللغة العامية».

ومن أبواب الأدب العامي المشهور الزجل والدوبيت و الكان كان " التي ذكرها صفي الدين الحلي في كتابه العاطل الحالي والمرخص الغالي"، هذه الفنون التي إعرابها لحن وفصاحتها لكن، وقوة لفظها وهن، حلال الإعراب بها حرام، وصحة اللفظ بها سقام، يتجدد حسنها إذا زادت خلاعة، وتضعف صنعتها إذا

[1] التلي بن الشيخ، المرجع السابق، ص 372.

أودعت من النحو صناعة، فهي السهل الممتنع والأدنى المرتفع، طالما أعيت بها العوام الخواص، وأصبح سهلها على البلغاء ، فإن كلف البليغ منها فتا تراه بريغه، ولا يتجرعه ولا يكاد يسيغه».

والطبيعي أن تكون للطبقات الشعبية لغة بسيطة مشتركة بين جميع أفرادها هي لغة : اليومية، ومن الطبيعي أيضا أن تنتج هذه اللغة أدبا، يعبر عن مظاهرها الثقافية جمعية «قد نسميه في شيء من التحفظ أدبا عاميا، ولكننا لا نسميه أدبا شعبيا يستعمل اللهجة العامية بتراكيبها الشائعة، أي أنه خال من الصياغة الفنية».

وهذا ما جاء به الشيخ البشير الإبراهيمي بقوله «هناك نزعات لا يقوم في التعبير عنها شعر، فإذا علم الناس الشعر البليغ الفصيح المتين، تشوقت نفوسهم إلى قوالب موسيقية تصاغ فيها تلك المعاني، التي لا يؤديها إلا الشعر، ولا يتأثر الناس بها إلا من الشعر ... والعوام في كل زمان، وفي كل دولة أكثر عدد من المثقفين، فلا جرم أن يولعوا ستر العامي ويتناقلونه، ويحفظونه، ويرددونه، في مجتمعاتهم لقرب معانيه من نفوسهم فهم رون للشعر الفصيح، الذي لا يفهمون معانيه العميقة، ويهتزون لهذا الشعر».

فهو أدب « اللهجات أو أدب الأقاليم، بمعنى أدب الحياة اليومية للجماعة، متمثلة في البيئة المحدودة، ومتطلباتها، وظروفها، هو سريع التطور، والتغيير، والتجارب، مع كل مقتضيات العصر ...ويتوسل في التعبير بالكلمة، والإشارة والحركة، والإيقاع، تماما مثله مثل الادب الشعبي »[1].

ولهذا نجد أن هذا الشعر تغلب عليه البساطة لأن لغته هي لغة التخاطب في الحياة اليومية...يتخاطب به العوام قد يعجب به بعض الناس، لكن شعبيته تقتصر على فئات دون أخرى فهو يختلف عن الشعر العربي الفصيح في شيء وهو أنه شعر إقليمي يقصر فهمه الا على ذلك الإقليم، لاشتراك شعرائه في المدارك، والتصورات الخاصة بهم »

من منطلق الاصطلاح فقد عاب عبد الله الركيبي على من سمى هذا الشعر بالعامي بنضرتهم التي يقصدون بها الشعراء، الذين لا يحسنون الكتابة، والقراءة يقول «إن تسمية الشعر بالعامية توحي بأن قائله أمي، لا

[1] التلي بن الشيخ، المرجع السابق، ص: 389

معرفة له باللغة قراءة وكتابة، وقد توحي بأن المتلقين له من الأميين، وبأن هذا الشعر لا صلة له بالفصحى، من قريب أومن بعيد والواقع غير ذلك قد يكون القائل أميا، وقد يكون متعلما بصورة أو بأخرى مثل الملتقي ايضا، وذلك أن بعض القصائد على الرغم من أنها لا تراعي القواعد اللغوية فهي في روحها فصيحة لأن ألفاظها، وعباراتها، مما يدخل في تركيب الفصحى[1].

ومما يؤخذ على تعريف الركيبي، فهمه لمصطلح العامي، بأنه يعني جهل القراءة ، سواء بالنسبة للمؤلف، أو للمتلقي، بالإضافة إلى التقارب بين اللغتين الفصحى ، ولن تكون هذه الأخيرة غير مظهر من مظاهر التغيير، والتطور من الأولى، هذا ، ومن جهة أخرى، فإن الشعر العامي، حسب الدكتورة نبيلة إبراهيم هو «الشعر الذي يمتلكه الفرد الواحد، وهو الخاص به وقد يكسب طابع الشمول، إذا تبناه الشعب فاتسم بطابع الشعبية.

### 3- الشعر الشعبي الجزائري ومصطلح (الملحون)

يعد (المصطلح) في الشعر الشعبي عامة، والجزائري خاصة من أهم القضايا والإشكاليات المطروحة، إذ ظل يعيش بتعاريف ومفاهيم إصطلاحية باهتة الدلالة، فلم نجد جهدا علميا -رغم كثرة المؤلفات ووفرة الدراسات والمقالات التي تدور حول (الشعر الشعبي) أو بعض فروعه في الوطن العربي بكل أقاليمه-[2] ، قد عالج فيه أصحابه هذا الموضوع انطلاقا من الطبيعة الحقيقية لهذا النوع من الشعر، ومن خصائصه النوعية، ومميزاته الفنية- يستقل بها، وحسبنا أن كل ما كتب من بحوث ومقالات في هذا الشأن لم يسع فيه الدارسون إلى إعطاء مفهوم حقيقي يصطلح على أساسه لهذا النوع من الشعر، لأن الاصطلاح ليس من الأمور اليسيرة التي تأتي بسهولة أو تطلق هكذا بطرق عشوائية أو عبثية، وإنما تأتي بالقراءة الجيدة للنصوص والاستقراء الدقيق لها لمعرفة خصائصها النوعية التي تميزها عن بقية الأجناس أو الأنواع الأدبية الأخرى.

[1] التلي بن الشيخ، المرجع السابق، ص 389

[2] لخضر لوصيف، المرجع السابق، ص 11.

وإذا كان للأدب الشعبي مفهوم عند المستشرقين على غرار الإيطالي جوفاني كانوفا الذي يرى أن الأدب الشعبي هو: "الأدب الشائع في الطبقات التي تسمى عادة بشعب أو عامة، وله مميزات خاصة به في بعض الأحيان ومشابهات مع الأدب الكلاسيكي، ويستعمل اللهجة المحلية أو لغة شبه فصيحة، سهلة فيها تعابير كثيرة باللغة العامية" فإن أحسن تعريف للدارسين العرب، والذي يقتربون فيه كثيرا من المفهوم الحقيقي للأدب الشعبي – حسب محمد المرزوقي هو تعريف الدكتور حسين نصار الذي يرى فيه الأدب الشعبي هو "الأدب المجهول المؤلف والعامي اللغة، والمتوارث جيلا بعد جيل بالرواية الشفوية" وهو التعريف الذي لقي تأييد الكثير وموافقتهم معتبرين اياه الأحسن لايجازه وشموليته"[1].

فالتقيد – في رأينا – بما قاله نصار في تعريفه للأدب الشعبي يجب أن يعاد فيه النظر لما فيه عن تركيز على الجانب التاريخي للشعر الشعبي، لأن ما قيل عن هذا النوع من الشعر يمكنه أن يقال أيضا من الشعر الجاهلي الذي مر بالشفوية قديما وتناقلته الروايات. مما عرض جزء كبيرا منه للضياع. ونسب فيه جزء آخر إلى غير قائليه. فتبقى إذن مقاييس الشعبية التي ألحقها نصار بهذا النوع من الشعر صفات عالية مشتركة بين الشعرين الفصيح والشعبي، في حين يبقى العامل اللغوي عاملا أساسيا وجوهريا فاصلا بين الشعرين الفصيح وغير الفصيح كما يساهم أيضا في تحديد المصطلح.

اما د. عبد الله ركيبي فيرى أن الشعبية تعد من أشيع المصطلحات التي تطلق على هذا النوع من الشعر وذلك من خلال قوله: " والشائع ان صفة الشعبية في الادب تتصرف إلى ما له عراقة وقدم والى ما يعبر عن روح جماعية بالكلمة، بحيث يصبح هذا الشعر تعبيرا عن وجدان الشعب وعن قضاياه دون الاهتمام بالقائل ،اذ بنصب اهتمام المتلقي على النص وحده."

فالمتأمل لهذا الرأي يجد ما ورد فيه من مقاييس وصفات محددة لمصطلح الشعبية كالعراقة، والتقدم، وعدم الاهتمام بالقائل لا تبتعد جميعها في المعنى عن (المجهول المؤلف)".[2] الواردة في قول حسن نصار والتي استحسانها بدوره محمد المرزوقي في هذا الرأي. أما العامل اللغوي الذي له دوره في صياغة

[1] لخضر لوصيف، المرجع السابق، ص 11.

[2] التلي بن شيخ ، المرجع السابق ، ص 368

المصطلح فإننا نجد الدكتور ركيبي وهو يتحدث عن مصطلح العامية – لا يفصل في الإشارة إليه بين لغتي الشعر الفصيح والشعر الشعبي، وإنما ينطلق في مناقشة بمصطلح ( العامية ) من طبيعة القائل لهذا الشعر أي: الشاعر الشعبي، ومن طبيعة المتلقي أي: جمهور الشعر الشعبي، دون أن ينطلق من طبيعة الشعر نفسه والتي يتم في ضوئها تحديد المصطلح بدقة فيقول :"والواقع أن الحال مختلف، فالقائل قد يكون أميا، وقد يكون متعلما بصورة أو بأخرى مثل المتلقي أيضا، ذلك أن بعض القواعد أيضا بالرغم من أنها لا تراعي القواعد اللغوية فهي في روحها فصيحة لأن ألفاظها عباراتها مما يدخل في تركيب الفصحي لا في تركيب العامية ونسيجها وإن كان بعضها لا يراعي البحور والأوزان المعروفة" .

فالذي يظهر من القول أن هناك إشارة إلى نخبوية الشاعر الشعبي ونخبوية جمهوره بالإضافة إلى الدرجة المتفاصحة التي يتميز بها هذا الشعر.

ولقد سبق هذه الآراء جميعها رأي العلامة ابن خلدون إذ نجده – وهو في عملية تقويمية للشعر الشعبي– ، قد ثمن كثيرا الجانب البلاغي فيه معتبرا هذا الشعر – أي الشعبي – ملكة فنية متميزة رافضا في الرأي نفسه أي استهجان أو رفض لهذا الشعر على أساس لغوي أو نحوي إعرابي فيقول أن: "الكثير من المنتحلين للعلوم لهذا العهد وخصوصا علم اللسان، يستنكر صاحبها هذه الفنون ويعتقد أن ذوقه إنما نبا عنها لاستهجانها وفقدان الإعراب منها.

أما الشعر الشعبي التونسي فإنه – على حد تعبير محمد المرزوقي – لم يتأثر بالأزجال الأندلسية: "في معانيه، وأغراضه، وحتى ألفاظه، بل اقتصر على القوالب فقط عدا بعض المقطوعات التي يعدها شعراء الحواضر للغناء".[1]

أما في الجزائر فإننا لم نجد لمصطلحي: (الأزجال والموشحات) ورودا في أي دراسة، أو بحث أكاديمي وكل قام به الباحثون الجزائريون في المجال كان تحت مصطلح (الشعبي) أو (الملحون) رغم أن بعض الدارسين قد أشاروا إلى أن الموشحات والأزجال قد عرفت في الجزائر منذ القديم: "ولا بد وأنه

[1] لخضر لوصيف، المرجع السابق، ص 14-15.

كان لها أثرها في الشعر الملحون أثناء حكم الأتراك للجزائر، فانتشرت القصائد الدينية من مديح وتوسل وتقرب إلى الله، وذكر للأولياء، ووصف للخمرة الإلهية وما إليها".

ولكننا إذا بحثنا هذه الآراء جميعها فإننا نجد أن ما عاشته بلدان المغرب العربي من ظروف تاريخية وسياسية واجتماعية مشتركة كان لها دورها في توحيد مجتمعاتها .

ويعتبر الأستاذ عبد الحميد بورايو – وهو يتحدث عن نهضة الشعر الملحون الجزائري–، في القرن السادس عشر الفترة التي عرفت فيها الجزائر: "ازدهارا كبيرا للشعر الشعبي ذي الطبيعة الفردية أي الذاتي، والذي يمكن أن يعد من الشعر الرسمي لو ظهر في غير ظروف المجتمع الجزائري".. وهو رأي فيه من التحفظ إذ لم يشر الأستاذ بورايو في هذه النقطة إلى أول ظهور لقصيدة الملحون، و لم يلمح إلى ريادة بن خلوف في هذا المجال بطريقة أو بأخرى، وإنما أشار فقط إلى الظهور القوي لشعراء الملحون – كنخبة – جمعت بين قول الشعر وممارسة السياسة وقيادة المجتمع.[1]

وما إطلاق مصطلحات وتسميات مختلفة متعددة على الشعر الشعبي كالزجل والملحون والعامي أو كالقول والكلام والنظم وغيرها من التسميات، لدليل على قلة الاهتمام بالشاعر الشعبي أولا وبطبيعته ثانيا. [2]

وإذا حاولنا بحث الخصائص النوعية للشعر الشعبي فإننا نجد المفاهيم أو التعاريف جميعها تكاد تهمل القائل لهذا النوع من الشعر والذي يمثل أهم ضلع في العملية الإبداعية وفي تقويمها، مهما كانت لغته الشعرية أو مستواه الثقافي، لأن أي شاعر – بطبعه –، يحوز مكانة علمية، وصفة متميزة داخل المجتمع، مما يجعل الكثير يتساءل عن كيفية تفرده بها باعتباره قبل كل شيء إنسان ولكنه إنسان: "يشعر بما لا يشعر غيره". فالشاعر الشعبي إذا قد ظل زمنا طويلا يعيش مشكلة المجهولية داخل المفاهيم المختلفة لهذا الشعر وهي المشكلة التي لا يستمد منها هذا الشعر –في الحقيقة –، مصداقية كما لا يفتقدها، لأن

[1] لخضر لوصيف، المرجع السابق، ص 38-39.

[2] التلي بن الشيخ، المرجع السابق، ص 383

هدف أي باحث في الميدان الشعري الشعبي – باعتبار بحوثه جميعها ميدانية –، هو الحصول على نص شعري يتمتع بسلطة فنية جمالية دون البحث عن الناص.

ولذلك فمشكلة مجهولية القائل في الشعر الشعبي لا تعد مشكلة بالنسبة للباحثين، إذ اعتادوا عليها من الأمور العارضة، لأن الباحث في الشعر الشعبي قبل الدراسة نجده يلعب دور الجامع لهذا الشعر والمحقق له في آن واحد، فلا يلتقي القائل إلا نادرا جدا إن لم نقل إطلاقا، وتبقي – بذلك – الرواية الشعبية وسيطا بينهما، مما يجعل الباحث لا يتحرج كثيرا في نسب النصوص أو الأقوال الشعرية الشعبية إلى غير قائليها الحقيقيين على أساس مجهولية القائل ودون بذل أدني جهد في التحقيق والتحري للوصول بالنصوص إلى قائلها الحقيقي، لأن مجهولية القائل أضحت تصورا عاما يسيطر على أذهان الكثير وقاعدة عامة في مفهوم الشعر الشعبي الذي تمثل معلومية القائل فيه استثناء فقط، وهو ما جعل ظاهرة الانتحال والسطو على نصوص الشعر الشعبي تكثر دون أن تشكل خطرا على المنتحل أو الباحث الذي يعتبرها من الأمور العارضة في الثقافة الشعبية عامة والشعر خاصة، كما أنها لا تقلل من قيمة البحث لأنه لم يفتح بشأنها أي نقاش أو جدل أو يخلق من أجلها أي نزاع باعتبارها قضية أدبية جوهرية.

ولذلك تجدنا لا نطمئن كثيرا إلى مجهولية القائل في الشعر الشعبي، لأنها قد تكون أمرا معقولا في الفن بصفة عامة فتطبعه بصفة الجماعية، أما الشعر وباعتباره من الفنون القولية الإبداعية فلا بد وأن يكون له فرد قائل مبدع باعتباره أيضا – أي الشعر الشعبي –، من النشاط الإنساني الفردي الذي "يعبر في معظمه عن شخصية الفرد ووجدانه".[1]

وما ذوبان (الفردية) في الشعر الشعبي وطغيان الجماعية سوى من الأمور التي فرضتها الظروف، وما مر به هذا الشعر من تداول شفوي زمنا طويلا وروايات تناقلته كنصوص محفوظة دون أدنى اهتمام بمصادره الأصلية وقائليه والظروف التي أحاطت بنشأته، إذ لو مر بها أي شعر غيره لكان له المصير نفسه.

ولقد علمتنا البحوث الميدانية واعتماد مناهج الخرائط الشعرية التي ينتمي إليها المجتمع المدروس أو النموذج –الذي يمتل ميدان البحث في الدراسات الشعبية — أن يكون الشعر الشعبي لأي مجتمع بلغته

[1] لخضر لوصيف، المرجع السابق، ص42-43

وعلى ايقاعه المحلي، كما يصور هذا الشعر أيضا ما يجمع أفراده من تجانس واجتماعي تعكسه جملة الصور الصوتية والمفردات والأساليب وطرق التصوير وغيرها من العناصر التي تشارك فيها الجماعة التي تشكل مصادر النص وقائله الذي تملي عليه كثيرا خبرته الإجتماعية والثقافية والمعرفية أن يقول وفق ما تواضع علية الإيداع الجماعي لأن (الفردية) لابد وأن تتجلى مهما حاول البعض إخفاءها. فالشعر العربي الجاهلي الذي تعتبر قصائده رسمية اليوم مثلا كانت شعرا شعبيا: "يختفي فيه الضمير الدال على الفرد ويتردد الدال على الجماعة في كثرة جلية" . لأن موضوعات القصائد تضمنت "معلومات شعبية كالوقوف على الأطلال ومخاطبة الأحبة لبعضهم وغيرها من العادات الشعبية آنذاك في الجزيرة العربية".

وإذا كانت المفاهيم في الشعر الشعبي تسعى في تعاريفها إلى الإبقاء على أن هذا الشعر هو مجرد فلكلور أو أقوال جماعية وتناقلتها الروايات محاولة- بأي طريقة - . تذويب (الفردية) فيه وطمس روح قائله في القول الذي ينقى دليل وجوده، وان لم يعلن عنه من طرف الكثير على غرار نصار الذي يرى في تعريفه بأن هذا الشعر "مجهول المؤلف"، وكذلك أحمد رشدي صالح الذي يضعنا أمام شق آخر في الاشكالية من خلال قوله بأن الأدب الشعبي لأية أمة هو "أدب عاميتها التقليدي" الذي منه السؤال: هل الشاعر الشعبي شخصية من عامة الناس أم شخصية مثقفة من التحية ؟.[1]

فالعائد - إذن - إلى البحث عن بعض التراجم والسير لشعراء الملحون الجزائري يجد ان معظمهم كان يتمتع بمكانة اجتماعية وسياسية منذ بداية ظهور الشعر الملحون الأولى إذ نرى من الباحثين المحليين الذين طرحوا كثيرا موضوع الرواية الشعبية شعرا ونثرا الأستاذ عبد الحميد بورايو الذي تناول في قضية الاحتراف في الرواية الشعبية القائل أو القوال باصطلاحه الميداني وقسمه إلى قسمين: قسم يتمثل في الشعراء المبدعين عين أنفسهم الذين يلقون قصائدهم، وقسم من الرواة والحفظة الذين يقولون لغيرهم .

[1] لخضر لوصيف، المرجع السابق ص42-47.

ثم اضاف اليهم قسما ثالثا يتمثل فيمن يجمعون بين الابداع الخاص بهم والرواية لغيرهم .[1]

ولقد حمل الأستاذ بورايو الظروف الاجتماعية التي ظهر فيها الشعر الملحون الجزائري المسؤولية الكبرى اذ وقفت عائقا أمام فردية الشاعر ومنعته من أن يكون من شعراء النخبة المثقفة، ويمكن لشعره "أن يعد من الشعر الرسمي لو ظهر في غير ظروف المجتمع الجزائري".

كان من هؤلاء الشعراء – حسب الباحث — ممن يحسبون على النخبة المثقفة، وفيهم من يحسيون على فئة كبار السياسيين لأنهم بلغوا أعلى المراتب السياسية والاجتماعية في الجماعة المحلية التي ينتمون إليها ومن هؤلاء مثلا: عبد الله بن كريو. عيسى بن علال الشلالي، ومصطفى بن ابراهيم ومحمد بن عزوز والشيخ بن يوسف.

ويضاف اليهم كل من لخضر بن خلوف الذي عبر في شعره: "عن مواجهة الاحتلال الاسباني للشواطئ الجزائرية الغربية وكذلك اشعار المنداسي، وابن مسايب المتعلقة بمظالم الأتراك ومعاملتهم المتعسفة والجائرة للسكان في تلمسان وكذلك أشعار محمد بلخير المتعلقة بمقاومة سكان منطقة الغرب الجزائري للاحتلال الفرنسي". والذي يؤكد للقارئ فعلا نخبوية شاعر الملحون الجزائري ووعيه الثقافي هو شعوره المسبق بمصير أشعاره التي يهددها الضياع او التلف او الانتساب الى غيره حتى ولو كانت في شكل مخطوط على الورق فإنها معرضة الى كل أشكال التلاعب والضياع، وقد تتداولها الايادي وتنسخها سواء على دراية أو على عدمها وذلك بدافع الرغبة في القراءة. ولذلك لجأ الي الكثير من شعراء الملحون الى طريقة التوقيع في أواخر قصائدهم وذلك بذكر أسمائهم أو القابهم أو بعض الرموز الدالة عليهم ومن هؤلاء مثلا، نجد عبد الله بن كريو يقول في لاميته المشهورة:

"يا لايمني في محنتي" :

يا عبد الله دير صبرك للقيوم

واللي صبرو في حوايجهم نالو

أي نغدو للشرع راني مظلوم

[1] عبد الحميد بورايو،في الثقافة الشعبية الجزائرية. منشورات رابطة الأدب الشعبي الجزائر، 206، ص 71

عبد الله ذا المرة واش تسالو

وكذلك من الشعراء أيضا نجد محمد ليشاني يتحدث فيها عن ثورة بوزيان التي وقعت حوالي 1848 والتي يختتمها بقوله [1]:

اللي قال القول امحمد

ليشاني نظم غيوان

[1] التلي بن الشيخ ، المرجع السابق ، ص 171

# الفصل الثاني

# دور الشعر الشعبي الجزائري في الثورة

### 1- الشعر الشعبي الجزائري خلال فترة الاحتلال:

يصور الشعر الشعبي ملامح فترة الاحتلال الفرنسي بطريقة توضح جوانب الحياة السياسية، والاقتصادية والاجتماعية التي تعرضت الى محاولات استعمارية مقصودة، تستهدف طمس معالم الثقافة القومية، واحلال ثقافة أجنبية محلها بغية عزل الشعب الجزائري عن تراثه الثقافي العربي، والإسلامي، ليسهل بعد ذلك دمجه والحاقه بالشعب الفرنسي وقد سخرت قوات الاحتلال لهذا الغرض كل الوسائل، واستخدمت مختلف الأساليب، لتجعل من الشعب الجزائري شعبا تابعا لثقافة الاحتلال فكرا، وسلوكا، « ووطنا ».

وقد ارتبط الشعر الشعبي بكفاح الشعب الجزائري عبر مراحل تاريخ الثورات الجزائرية فسجل الحروب الدامية والمتكررة مع الاسبان، والدانمارك، وغيرهم، وكان موقف الشاعر الشعبي في هذا المجال واضحا جليا، بل وكان من الطبيعي أن يعيش قضايا وطنه، ويتفاعل مع الأحداث التي تجري في بلاده .

وكان الاحتلال الفرنسي، يعني في اعتقاد الشاعر الشعبي غزوا للإسلام بالدرجة الأولى، ذلك أن الإسلام في مفهوم الطبقات الشعبية هو المقياس الذي يحدد هوية الانسان الجزائري، وليس مجرد الانتماء إلى الوطن، ومن هنا كان الجهاد في سبيل الله . والدفاع عن الإسلام هو الهدف الأسمى من النضال، وبتعبير آخر كانت الفكرة الوطنية مزيجا من العقيدة الدينية، والروح الوطنية. [1]:

وقد لعب الشاعر الشعبي دورا هاما في الثورات الجزائرية على اختلاف مراحلها فكان شاعر نضال، ورفيق سلاح، وحامل رسالة، يستمد شعره من عاطفة دينية، قوية ويحمل بين جوانحه ضميرا قوميا شفافا، رأى في أهداف الغزو الاستعماري غزوا للدين، وهدما لكيان الإنسان المسلم، في هذا الوطن الذي يرفض أن يكون غير عربي مسلم .

والواقع أن الشاعر الشعبي حين يتمسك بالإسلام، ويعتز بالماضي، ويفتخر بانتصارات المسلمين، فقد كان دوما يربط ذلك الماضي المشرق، بالحاضر القاتم، ويتوق إلى رؤية عظمة الاسلام، وعزة المسلمين تتحقق من جديد في هذا الوطن، فالعودة إلى الماضي كانت تحمل بذور الدعوة، وبعث النخوة والكرامة في نفوس المواطنين، لكي يكونوا خير خلف لخير سلف فالشاعر الشعبي لم يكن أديبا (صناعيا) يتفنن في اختيار القوالب الجميلة لكي يؤثر في عواطف الناس، وانما كان يقول الشعر بطريقة تلقائية وعفوية.. ويعيش محنة الاحتلال بكل آلامها، وجراحها، ويصور احساس مواطنيه، فيذكرهم بأحداث الماضي ليدفعهم إلى الجهاد والتضحية من أجل تحقيق الحياة الكريمة .. والشاعر الشعبي لا يهدف من وراء نظم الشعر الى كسب الشهرة، أو الجاه، وانما يهدف من وراء شعره الى تصوير مأساة غزو

[1] التلي بن الشيخ ، المرجع السابق ، ص 220.

استعماري : استهدف دينه، وثقافته، وعرض حياة مواطنيه الى البؤس والفقر، وحول أمنهم إلى خوف، ورعب، وشقاء ودمار .

وقد أسهم الشاعر الشعر الشعبي في الثورات الجزائرية – الى جانب الشعر – بسلاحه فكان يمارس القتال والنزال بنفس الروح التي كان يمارس بها نظم الشعر، فجاء شعره مطابقا لإحساس الثائر، واصرار المجاهد، بعيدا عن التكلف والجري وراء الألفاظ الرنانة، والمبالغات الفارغة، مرتبطا بواقع الظروف القاسية التي كانت تعيشها البلاد .

كما قام الشاعر الشعبي بدور بارز في مجال الاعلام، والتبليغ، فكان ينظم القصيدة ويتغنى بها في ميدان المعركة، أو ينشدها وهو يتجول في القرى، والأسواق حيث يتلقاها الرواة، والحفظة، وبالتالي فقد كان يصوغ أحداث الثورة ومعاركها الضارية شعرا، ونشيدا للعبرة والعظة و الحماس .

و لم تكن آنذاك صحافة، أو اذاعة يطلع المواطنون بواسطتهما على ما كان يجري في البلاد وانما كان المواطنون يعيشون في شبه سجن رهيب، وعزلة تامة، وقد تندلع ثورة في جهة ما من التراب الوطني، لا تبعد عن الجهة المجاورة لها الا بضعة أميال، ولا يسمع هؤلاء الا بعد أسابيع، وأحيانا شهورا، يضاف إلى هذا أن قوات الغزو كانت تفرض حصارا شديدا من الارهاب والكتمان على أخبار الثورة الجزائرية، وانتصاراتها حتى لا تتسرب إلى المناطق الأخرى، كما كانت تشدد الرقابة على تنقلات المواطنين من جهة الى جهة، لكي تعزل كل جهة عن غيرها، بحيث كان الحديث عن الثورة والثوار يعني نهاية حياة أي فرد يتجرأ على إفشاء الأسرار، ونشر « العدوى » بين الناس واذا كان الشاعر الشعبي يصور نكبة الجزائر بالاحتلال الفرنسي، وما صاحبها من ويلات وجرائم، ويبرز سماتها العامة بصورة أقرب إلى الواقعية والأمانة في رصد الأحداث، وتسجيل الوقائع، فإن الدارس للشعر الشعبي يحتاج إلى كثير من التأني، والتروي قبل أن يحكم له أو عليه، لا لأن الشاعر مغلق العبارة مستعصيا على الفهم، وانما لأنه لا يدرك خلفيات الظروف السياسية والاجتماعية إدراكا دقيقا، بحكم ثقافته المحدودة من جهة، وعزلته عن ممارسة الحياة السياسية من جهة أخرى، مما جعل تصوره للأحداث بسيطا، ان لم نقل سطحيا في كثير من الأحيان .

ونحن نعتقد أن الفترة ما بين (1830 – 1871 م) كانت فترة ثورات بكل ما تحمله كلمة الثورة من دلالات .

ورغم سلسلة الثورات المتتالية[1] التي خاضعها الشعب الجزائري، وقدم أثناءها تضحيات جسيمة في ظروف حرب استعمارية شرسة قل نظيرها، فقد حاول كتاب الاحتلال الفرنسي التقليل من أهميتها، ووصفوها بما يتناقض والحقائق التاريخية المعروفة، فكانوا يطلقون على الثوار كلمة «المتمردين » تارة،" الخارجين عن القانون"، تارة أخرى مثلما

[1] انظر : المدني أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1963، ص : 50 الى 60

اطلقوا عليهم كلمة « الفلاقة » أو « قطاع الطرق"، إلى غير ذلك من النعوت[1] وحين تندلع الثورة من جديد في جهة أخرى، وتعجز قوات الاحتلال والارهاب على اخماد صوت الحق، فليس اسهل على كتاب الاحتلال من الادعاء بأن الثورة الجزائرية تعني تعصبا دينيا ورفضا أعمى لنور "الحضارة والمدنية" التي يعمل الجيش الفرنسي على نشرها، وغرسها في وطن لم يعرف الحضارة، والحرية، ولا يزال يعيش على بقايا رواسب قديمة تجعله غير قادر على التخلص من الماضي، وكان من المألوف – أيضا – وصف الثورة بأنها كانت بايعاز من دعاة القومية الاسلامية في الخارج.

وواضح من هذا التزييف لأهداف الثورات وتشوية مبادئها، أن هؤلاء لا يهدفون الى معرفة حقائق كانت مجهولة، يريدون إثباتها، وانما كانوا يرمون الى ترسيخ فكرة الاحتلال في الأذهان، وتبربر ما يقوم به الجيش الفرنسي من مذابح وجرائم.

والواقع أن الشعر الشعبي يجسد تاريخ الثورات الجزائرية غير المكتوب في اطار سياسى واقتصادي واجتماعي كما سيأتي الحديث عن هذا بالتفصيل.

وسوف نتتبع الثورات الجزائرية منذ بداية الاحتلال حسب ظهورها، وفي حدود ما عثرنا عليه من نصوص، محاولين التعرف على الظروف السياسية والاجتماعية التي اكتنفت الثورة، ومدى قدرة الشاعر الشعبي على تصويرها، او التعبير عنها.

وقد كانت هزيمة الجيش الجزائري (النظامي) أمام قوات الغزو الفرنسي نهاية لعهد العز والمجد . بل نهاية أسطول بحري عظيم، فرض السيطرة، والرهبة على البحر الأبيض المتوسط فترة غير قصيرة، حيث كانت. جيوش أوروبا تخشى بأسه وترهب جانبه، وتعترف له بحق السيادة على البحار، وما من شك في أن هذه الهزيمة لها أسبابها، وظروفها التي من الصعب حصرها في سبب واحد.

ويصور الشعر الشعبي نكبة الجزائر بالاحتلال الفرنسي تصويرا صادقا، ويجسم مختلف جوانب مأساة الغزو الفرنسي بطريقة نلمس فيها نقدا ذكيا للحكم التركي . ورغم الاشارات المتكررة –في الشعر الشعبي – الى تفوق قوات الغزو في العدد والعتاد، فإن الشاعر الشعبي يكاد لا يصدق بأن هذا وحده كاف لهزيمة الجيش الجزائري، بل الشاعر الشعبي يضيف الى تفوق جيش الاحتلال، أن رئيس الدولة الجزائرية ليس جزائريا، وبالتالي فإن الروح الوطنية والغيرة على سيادة البلاد، وحمايتها من الأعداء، ليست مهمة، ذلك أن الحاكم الاجنى عن الوطن لا يهمه من الوطن الا مصالحه المادية، والحفاظ على ثروته، والواقع أن الشاعر الشعبي يصوغ هذا الشعور في قالب ديني، يتخذ أسلوب

[1] أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج 1، معهد الدراسات والبحوث العربية، القاهرة، د.ت، ص : 49 الى 55

الموعظة والعبرة، والتذكير بالآخرة، ولكننا مع هذا نجد فيه نقدا ذكيا، يتسم بالتلميح، والاشارة الخفية إلى ما وراء الأحداث من العوامل والأسباب، والتركيز على الدوافع النفسية لدى الحاكم .

واسعة في المعنى، يقول شاعر شعبي في إحدى قصائده:

لغتنا فنات حتى جوامعنا تفرمات

ما بقات حياة الذكريات كثرت عليا.[1]

لقد حققت الحركة الوطنية الجزائرية خلال الحرب العالمية الأولى عدة أهداف رئيسية من بينها: «أنها أنهت بتفاعلها السياسي والعاطفي والعسكري، أسطورة أن الجزائريين كانوا مخلصين لفرنسا، أنها نجحت في اختراق الستار الفرنسي بنقل القضية الوطنية من المسرح الجزائري إلى المسرح العالمي، أنها دعمت الضمير الوطني بالتعاون الفعال بين الثوار والأهالي من ناحية، وبين العمال والجنود من ناحية أخرى..."[2]

وبصفة عامة فإن الحركة التحررية في الجزائر خلال السنوات الأولى من القرن العشرين، قد تجسدت بصفة جلية في مجموعة من المعطيات التي مثلت في وقتها ميزة جديدة الحركة النضال المستمر، ومن ذلك المطالبة بالمساواة بين الفرنسيين والجزائريين وهي الأفكار الوطنية المتقدمة التي تطورت فيما بعد لتعطي جوهر القضية بعدا آخر.

### 2- النزعة الوطنية في الشعر الشعبي

لقد كانت الثورة التحريرية ثمرة المقاومة والنضال السياسي والوطني منذ دخول الاستعمار الفرنسي أرض الجزائر إلى غاية اندلاع ثورة أول نوفمبر المجيدة، ويظهر ذلك النضال والتعبير الشعبي عن طريق الانتفاضات والإضرابات والمظاهرات الشعبية وغيرها من الأساليب المنتهجة من أجل التعبير عن مطالبهم وتحقيق الوجود والحرية فلم يكن الشعر في معزل عن ذلك بل كان إلى جانب المناضل الجزائري وذلك باعتبار أن الشعر الشعبي هو معيار تفكير الشعب وعنوان اتجاهه ورائد من روائد نهضته كما يعد أيضا منظار ينظر به إلى الكون والحياة، وفي هذا السياق يقول" عبد الحميد بورايو" « **إن الخطاب الأدبي الشفوي الجزائري قد تحول في الكثير من الحالات إلى خطاب تاريخي، ولا نقصد هنا دلالته التاريخية في ارتباطه بالسياق التاريخي فقط، وإنما أداءه لوظيفة الخطاب التاريخي الموجه للأجيال اللاحقة**"[3]، والعلاقة بين الشعر والتاريخ علاقة الروح بالجسد ومن ثم فإن « التاريخ يعتمد على الشعر

[1] التلي بن شيخ، المرجع السابق، ص 342

[2] أبو القاسم سعد الله، دراسات في الأدب الجزائري الحديث ، الرائد للكتاب الجزائر، ط5 ،2007 ، ص: 54

[3] عبد الحميد بورايو، البطل الملحمي والبطل الضحية في الأدب الشفوي الجزائري، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1988، ص 22

كأداة مساعدة على ذلك لأن الحقائق التي يعرضها الشعر سواء كان قاصدا إلى ذلك أو غير قاصدا هي حقائق كلية لا يمكن للتاريخ أن يتنكر لها..... فإن الشعر يمكن أن يكون أداة مساعدة، لأنه تاريخ الذهنيات السائدة يعكس ميولها وأذواقها، ولأنه يعكس وضعا اجتماعيا وتاريخيا معينا ».[1]

فالشعر من خلال الموضوعات التي عالجها وتطرق إليها، يتحول إلى إيداع جماعي يعكس جوهره التاريخي، ففي كثير من الأحيان نقرأ في الشعر الشعبي تاريخا للعصر الذي قيل فيه.

وتبدوا أهمية النص الشعبي، في تأدية دور الوثيقة التاريخية للمؤرخ في كل المجتمعات وفي كل الأزمان لكن أهميته تبدو أكثر « بالنسبة إلى مجتمع يعتمد أساسا على ثقافة شفوية تعرضت تقاليد الكتابة فيه إلى الإضراب والانقطاع بسب ظروف الصدام الدامي والحروب وتحطيم المؤسسات الثقافية مما جعل الشاعر الشعبي يتكفل بدور المؤرخ»[2].

فالشعر الشعبي وإن كان إبداعا أو ثقافة شفوية فإن أهميته كانت ولا زالت سارية في كل المجتمعات على اختلاف مساراتها ومذاهبها.

لقد خاض المبدع الجزائري معركة الكلمة، يحمل صليب الصمود والتحدي يواصل الحلم، « يدون تجربته الفنية الزاخرة بحب شعبه وطنه روح الغضب ينشد أنشودة الشعب والوفاء والشهداء، ويكتب نص الحرية والإعتاق ينسج خيوط الأمل ويرسم معالم الطريق المخصب بدم الجزائري النازف، ويستشرف المستقبل المتفائل حتى ينتصر الحق ويبزغ الفجر ويشيع الخير والفرح وجمال الحياة....

فالشعر لا يفنى إلا إذا فنيت بواعثه وما بواعثه إلا الثورة والوطن والتحرر، هذا بصفة عامة، « أما الشعر الشعبي الجزائري فكان ولا يزال وسيبقى لسان حال الشعب، فلقد رافق الشاعر الوطن والأرض منذ وطأة أقدام المستعمر أرضه إلى أن استقلت الجزائر»[3].

---

[1] حفناوي بعلي، صورة فرنسا الاستعمارية في إلياذة الجزائر، مفدي زكرياء، مجلة الآداب و العلوم الإنسانية، العدد3، جامعة سطيف نوفمبر 2005، ص: 13

[2] عبد الحميد بورايو، النزعة التاريخية و التوثيقية والحس الملحمي في الشعر الشعبي، الجزائري في منطقة الجنوب، محاضرات الندوة الفكرية السادسة، الملتقى الوطني الموروث الشعبي، الوادي، 2006، ص:86

[3] بولرباح عثماني، الثورة التحريرية في الشعر الشعبي الجزائري، صور و مختارات، فيسرا للنشر، الأغواط، 2012، ص ص 08-13

فالشعر سجل الوقائع التاريخية المختلفة فواكب المقاومة وصور ما أحدثته من ردود في مواجهة العدو وبين البطولات التي ظهرت في قصائد خالدة حركت من الهمم وشحذت العزائم وقوت الروح الوطنية، فالشاعر الشعبي من خلال شعره الوطني والثوري دون تاريخ الوطن وخلد بواسل الأمة.

فإذا كان الشاعر الفصيح قد أرخ لحوادث ووقائع عاشها أو سمع بها فإن الشاعر الشعبي كان له النصيب أيضا في هذا المجال، فهذا مصطفى حران[1]، يقول في قصيدة " ذا شهر الأبطال ".

ذا عشـــرين أوت حققنـــا النجـــاح في الســـتة وخمســـين تـــاريخ يطلـــب
تتفكـــر ذا يـــوم وانـــديروا الأفـــراح تتفكـــر اللـــي علـــي وطنـــوا جاهـــد وتعـــب
تتفكـــر اللـــي تحـــزم ونقـــل الســـلاح واطلـــب الشـــهادة المـــولى يقـــرب.[2]

كما حاول الشاعر أن يجعل خطابه للأرواح فيعبئها لتنطلق كالشرارة فهم جنود الأمة يسجلون أحداثها ووقائعها وذلك من أجل التغني بالوطن والجهاد في سبيل الحرية، وهذا ما فعله العديد من الشعراء كمفدي زكرياء، محمد العيد آل خليفة وغيرهم من شعراء الثورة الجزائرية ».[3]

لقد تطرق العديد من الشعراء أيضا إلى الحديث عن الجزائر وما أصابها من هول ومصائب داعيين الشعب إلى الوعي الحقيقي.

ومن النماذج الشعرية أيضا ما أبدعه « الشاعر الشعبي "الساسي حمادي"، وهو في مدينة الرديف التونسية سنة 1956، هذه الأخيرة كانت منطقة تعج بالجزائريين والنشاط السياسي، لدعم القوى الثورة التحريرية، وكان آنذاك شابا يافعا يتوقد حماسة، فجاءت قصيدته ينبوعا بحب الوطن، وبذل الغالي والنفيس لتحرير الوطن يقول:

محتـــار قلـــبي مـــا قـــدر يتـــهنى والـــوطن لاســـتعمار جـــور عنـــه
لا قـــدرت نصـــبر لا انقـــد نـــتكلم في ليـــل أســـود والظـــلام مظلـــم
الشـــعب حملـــة علـــى الكفـــاح مصـــمم والحـــرب صـــبحت فـــرض فـــات الســـنة
الحـــرب صـــبحت واجـــب علـــى كـــل قـــادر إروح إحـــارب.[4]

[1] مصطفى حران، شاعر شعبي و باحث من مواليد 1942 بمدينة الادريسية، بين يديه ديوان شعري مخطوط، ص:36

[2] مصطفى حران، ديوان مخطوط، ص:36

[3] مولود قاسم نايت بلقاسم " ردود الأفعال على غرة نوفمبر"، الشركة الوطنية للطباعة و النشر الجزائري، 1985، ص: 210

[4] الساسي حمادي شاعر من مواليد 1930م بمدينة واد سوف توفي سنة 1997، جمع شعره من طرف ابنه و يضم مجموعة من القصائد في مختلف الأغراض

نلاحظ أن الشاعر يدعوا الشباب إلى التضحية في سبيل الوطن الجزائري، لأننا كما يقول معنيون بتحرير وطننا، فالجهاد أصبح واجبا على الجميع، فهنا الشاعر على الرغم من تواجده خارج وطنه إلا أنه متعلق به وواع بهذا الانتماء.

يمتاز الشعر الوطني والثوري عن بقية الأغراض الشعبية الأخرى بأنه يحتل مكانة كبيرة عند الملتقي، لا لشيء إلا أنه ملحمي يصور البطولات ويمجد الوطن.

شاعر آخر أحب وطنه وكتب عنه، فهو ذو روح وطنية وسياسية خالصة تنم عن تمسكه بمبادئه الوطنية والروحية نحو وطنه الغالي والذي لا يوجد له وطن سواه، فهو يمجد الأبطال ويذكر خصالهم، يقول" لهزيل لهزيل"، ممجد الأبطال وتاريخهم:

هـــذا يـــوم ســـعيد لمحـــت فيـــه أنـــوار فرحـــت بـــه نـــاس سمعـــت بخبـــارو
هـــذا عيـــد النصـــر نبشـــر بـــالتحرار وتغنـــا الشـــعب الجزائـــري واختـــاروا
عيـــد النصـــر عزيـــز يبقـــى في لـــذكار وتعـــود لســـلاف وتحكـــي لصـــغارو.

إن مواكبة الشاعر لثورته المباركة جعلته يتعلق بها منذ شرارتها الأولى أو حتى قبل ذلك أي منذ احتلال فرنسا للجزائر، لكن الثورة التحريرية شحذت موهبة الشاعر الشعبي، وصقلت ذاكرته، فدفعته إلى التفكير في كيفية الحصول على الاستقلال والدفاع عن هذا الوطن المسلوب من طرف الفرنسيين، لأن بعض هؤلاء الشعراء عاشوا الثورة واكتووا بنار المستعمر، فمنهم من سجن وعذب ومنهم من تعرض للنفي والإبعاد.

ومن بين الشعراء الشعبيين الذين قالوا قصائدهم أثناء الثورة، وكان شعرهم حاضر الكفاح الشاعر" المدني رحمون" حيث يصف معركة حضر وقائعها يوم 09 جوان 1957 فيقول :

ســـجل يـــا تـــاريخ لمعركتنـــا واكتـــب للبـــنين ذكـــرى للأبـــاه
اشـــهدوا عمايـــا جبالنـــا مـــاذا عـــدينا مـــن الصـــعوبات
للـــدين والـــوطن أنـــا جاهـــدنا كمثـــل الأجـــداد في وقـــت الاســـادات.[1]

[1] المدني رحمون شاعر من مواليد مدينة طولقة ولاية بسكرة، شارك في حرب التحرير توفي سنة 1970م.

### 3- المقاومة والثورة في الشعر الملحون

لقد وظف الشاعر والراوي هذا النمط الثقافي الشعبي لخدمة أهداف المقاومة والثورة التحريرية، وإحياء النخوة العربية في ضمائر الجماهير الشعبية وتجنيدها حول القضية الوطنية، وطبيعي أن يقف الشاعر الشعبي إلى جانب الثورة التحريرية، إما بالكلمة، أو الكلمة والبندقية لأنه جزء منها، ولعل « الشاعر " محمد بلخير" بالجنوب الغربي الذي كان فارسا في القول والتزال أحسن مثال للوطني الثائر أثناء اندلاع ثورة " أولاد سيدي شيخ "، وقبله الأمير عبد القادر، حيث خاضا مقاومة تحريرية ودفاعية عن الأرض المسلوبة وأطرا هذه الانتفاضات في أشعارهما وفي مقاومتهما العسكرية».

يقول "محمد بلخير" في إحدى قصائده داعيا القبائل إلى الوقوف في وجه العدو الفرنسي:

البلاد تنادي وبقات قار بحال صبي من والديه مفطوم
ذا القبائل ماليها حد نعار لا ديروا راي النقاض مندوم
أحنا مجاهدين ما نا قول ضعيف تبعنا ما قال ربي في القرآن .[1]

كما أن الشاعر القبائلي " سي محند أو محند" ( 1845-1906) حرض على المقاومة بعد قمع انتفاضة الشيخ الحداد سنة 1871 في قصيدة بالأمازيغية تحت عنوان: "سوف نكسر ولن نعصر"، ويشير إلى القرن الرابع عشر الهجري الذي يرمز فيه الفكر الشعبي إلى الفناء ونهاية الوجود »، فيقول ضمن هذه الأبيات المترجمة :

نحن الآن في لقرن الرابع عشر والثالث عشر قد ولى
إصغ إلي أيها العاقل وافهم كبر الغريب وكلامه زاد بلة
لم يعد اسم الي موجودا والنساء والرجال عادوا أطفالا
فقدت القانون والإيمان وانتهى كل شيء بين عشية وضحاها.[2]

وبأسلوب مباشر يؤجج الشيخ الخالدي الكفاح المسلح فيقول:

لكفاح الاستعمار ناضت الثورة في لقطار
ودعني الداعي بجهار هلموا يا مواطنين
البيدار، البيدار للوطن يدعيكم للثار
من مات يموت خيار خير من عيشت مخذولين.

---

[1] المدني رحمون، المرجع السابق، ص 45.

[2] د. التلي بن الشيخ، دور الشعر الشعبي في الثورة، م. وك، الجزائر، 1983، ص: 131

نلاحظ من خلال هذه النماذج الشعرية أن الشعر الملحون كان ملازما للمقاومة ولكل الحروب التي خاضها الشعب الجزائري منذ الغزو الفرنسي سنة 1830 حتى الثورة التحريرية ومرحلة الاستقلال، وكان أكثر حضورا من أي شكل أدبي أخر نظرا للطبيعة الشعبية لهذه الثورات ما جعل الشاعر الشعبي الجزائري، يساهم بشعره في نصرة القضايا الوطنية والإنسانية العادلة لاسيما في الفترات الحرجة والصعبة التي مرت بها الأمة الجزائرية.

لقد أدى الشاعر الشعبي دورا إعلاميا مهما في هذا المجال، نظرا لغياب وسائل الاتصال والإعلام المتطورة في ذلك الوقت، « كما قام برصد مختلف الأحداث التي شهدتها الجزائر، وسجلها في الذاكرة مما يمكننا من اعتماد بعض الأشعار الشعبية كوثيقة تأريخية لبعض الحوادث التاريخية المهمة التي شهدها الوطن».[1]

وفي هذا الصدد يدعو الشاعر عبد القادر الوهراني الشعوب لتنهض الشعوب المقاومة المحتل والجهاد في سبيل الله قائلا :

أهنا الناس تظهر وتبان اخبارها موت الجهاد خير من اللي حيين
حور الجنان راها تزعزعت بأصواتها أبواب النعيم للأمة مفتوحين
الموت لازمتنا وحنا زادها والصبر لاتكونوشي خيفانين.

وتعتبر هذه القصيدة « من أجود الإنتاج الشعري الملحون، وقد أنشدها المداحون في الأسواق، ومختلف المناسبات يحرضون المواطنين من خلالها على الثورة وأن موت الجهاد أفضل من حياة الذل والاستعمار، واعترف بعض الأوربيين أن القصيدة ساهمت فعلا في في إضرام الثورات كثورة مليانة عام 1951» . وعموما لقد ظل الشاعر الشعبي وفي مختلف المقاومات الشعبية الجزائرية يتغنى بالأبطال والانتصارات، ويتجاوب مع الأحداث الكبرى التي تمر بها البلاد، فكان يسارع إلى تسجيلها وتخليدها.

وكثيرا ما يرجع الشعراء الشعبيين إلى إحياء الروح الوطنية لدى الجيل الحالي والشباب، ممن لم يعايشوا الثورة التحريرية، فيحثونهم على حب الوطن والاعتزاز به والدفاع عنه وفي هذا الصدد يقول الشاعر أحمد جماعي:

وانسيت الثوار في مبداها هادوك اللي گافحوا الجهال
ماتوا على الأوطان شاهدناها گانوا مسكنهم الجبال
دم الشهداء تخلط مع ماها تنكري ذا الخير ليك سوال.

[1] العقريب نعيمة، مذكرة بعنوان تجليات المقاومة و النضال في الشعر الشعبي الجزائري، جامعة الجزائر، (د.ت)، ص:12

لقد صور الشعر الشعبي ملامح فترة الاحتلال الفرنسي بطريقة توضح جوانب الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي تعرضت إلى محاولات استعمارية مقصودة، تستهدف طمس معالم الثقافة وإحلال ثقافة أجنبية محلها بغية « عزل الشعب الجزائري عن تراثه الثقافي العربي والإسلامي، ليسهل بعد ذلك دمجه وإلحاقه بالشعب الفرنسي، وقد سخرت قوات الاحتلال لهذا الغرض كل الوسائل، واستخدمت مختلف الأساليب لتجعل من الشعب الجزائري شعبا تابعا لثقافة الاحتلال فكرة وسلوكا ووطننا، لكن الشعب الجزائري تفطن لذلك، وتمسك بالعقيدة الإسلامية ومبادئها التي تدعوا إلى رفض العبودية لغير الله وتحقيق العدالة ومقاومة الشر والطغيان » .[1]

### 4- الشعر الشعبي ووحدة الشعب وتضامنه

منذ أن دخل الاستعمار إلى الجزائر وهو يتبع سياسة فرق تسد حتى يستطيع تحقيق مطامعه، لكن الجزائريين راحوا يبرزون هذا الخطر الذي يجب أن لا يقع فيه، فالمستعمر كان يريد أن يكون الشعب متفرقا، أي عنصر واحد يسهل عليه التحكم فيه، لكن الشعب اعتصم ضد هذا المخطط، فلم يتصدع، و لم يتوزع، وفي هذا الصدد يقول أحد الشعراء:

فلكم تضارغ والثرما فلم يجد ... فيه الزمان وقد وجد مطمعا
واستقبل الأحداث، منها ساخرا ... گالشاهقات تمنعها وترفعها
وإرادة المستعمرون عناصر ... فأبي مع التاريخ أن يتصدعا.[2]

لقد عمل جل الشعراء جاهدين من أجل توعية الشعب الجزائري، بخطورة الوضع الذي ساد إبان الثورة، فتراهم يدعون الشعب إلى الجهاد في سبيل الوطن، لأن الحرية لا تأتي هكذا بل يلزمها التضحيات، فلقد قام «الشاعر الشعبي بدور بارز في مجال الإعلام والتبليغ، فكان ينظم القصيدة ويتغنى بها في ميدان المعركة، أو ينشدها وهو يتجول في القرى والأسواق، حيث يتلقاها الرواة والحفظة وبالتالي فقد كان يصوغ أحداث الثورة ومعاركها الضاربة شعرا، ونشيا للعبرة والعظة، وإذكاء الحماس» [3] .

يشكل الشعر الشعبي الجزائري معلما من معالم المقاومة والثورة إبان الثورة التحريرية الكبرى، لأنه وسيلة لغوية أصلية عميقة التأثير دقيقة في إيصال الصورة الثورية، ولذلك تزخر القصائد الشعبية « بدلالات الرفض والمقاومة والدعوى إلى الجهاد، ويبدوا أن الشعر كان يتلاءم مع الثورة لأنه الأكثر حضوة من صنوف الثقافة بالنظر إلى سهولة

[1] د. التلي بن شيخ، دور الشعر الشعبي الجزائري في الثورة (1830- 1945)، ص: 97.

[2] أنيسة بركات درار، أدب النضال في الجزائر من سنة 1954 حتى الاستقلال، ص:59

[3] – د التلي بن شيخ، دور الشعر الشعبي الجزائري في الثورة 1830 – 1945،ص، ص :99، 100

حفظه وفهمه وسرعة انتقاله، ولذلك فلا عجب أن يواكب هذه الثورة، فكان الصوت الشعبي الصميم الذي يحث العمال والفلاحين والبسطاء من عامة الشعب إلى ساحة الوغى، بل كانت أهازيجه تتردد على ألسنة بعض المطربين الجزائريين من أمثال: عيسى الجرموني، الشيخ محمد الغفور، إدريس برحال، عمار العشاب، فضيلة الجزائرية، بوجمعة العنقيس، صليحة الصغيرة، رابح درياسة.... الخ»

ومن ذلك القصيدة المشهورة التي غنتها " صليحة الصغيرة " والتي تقول بعض كلماتها:

حزب الثوار

ومعاهم هانت الأعمار

حزب الثوار

وحنا محينا الاستعمار

قتلو فلاقة يا فرنسا

ومناش فلاقة

لكن رفاقه

خاوه في جيش التحرير.[1]

[1] صليحة الصغيرة، حزب الثوار، جريدة اليوم، العدد 2257، سنة 2006، ص:17

# الفصل الثالث

## شعر الوطن في القصيدة الشعبية الجزائرية

## 1- نبذة عن توفيق ومان

### أ- المولد والنشأة:

توفيق ومان واحد من شعراء الشعر الشعبي بالجزائر، من شغفه بالشعر الشعبي أسس مع مجموعة شعراء الجمعية الوطنية للشعر الشعبي بالجزائر، جعلت في كل ولاية "عكاظية الشعر الشعبي." ولد الشاعر الشعبي توفيق ومان يوم 03 نوفمبر 1964 ببسكرة، هو ابن محمد الوهاري، ابن محمد الصادق وهو من عائلة فنية كبيرة وعريقة، من عرش بني ومان وحسب قول شاعرنا أنهم نزحوا من جبال بجاية، ومازال آثارهم هناك حيث توجد إلى حذا الآن حوزة إيغيل ومان بضواحي بجاية بجبال أوقاس وقد لقب الشاعر ب " شاعر الأطلس".

قضى الشاعر مرحلة تعلمه يغرف من وعاء العلم والمعرفة ما جاد به الزمن وسمحت به الظروف، إذ يعد من خريجي المعهد الوطني للتجارة (1984 - 1988) ببن عكنون- الجزائر العاصمة. دفعة جوان 1988، فقد تحصل على شهادة الدراسات العليا في التسيير التجاري .

### ب – نشاطاته:

لقد عمل الشاعر كرئيس لمصلحة التجارة بالمؤسسة الوطنية لتوزيع مواد البناء في سبتمبر 1988، وبعد سنة أصبح مديرا لوحدة توزيع مواد البناء بمدينة طولقة ولاية بسكرة في 1989، وفي أفريل1997 عين مديرا عاما للمنطقة الصناعية لولاية بسكرة، ظل في هذا المنصب ثلاث سنوات، أي إلى غاية سنة 2000 أين زاول مهنته كمدير الاستغلال بالمؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار- الجزائر العاصمة، وفي سنة 2003 ارتقى إلى منصب مدير التشريفات والمراسم بمجمع الصحافة والاتصال، أما في ديسمبر 2005 قام الشاعر توفيق ومان بتأسيس الرابطة الوطنية للأدب الشعبي .

لقد توالت مناصب الشاعر وتعالت مع مرور الوقت، إذ أصبح في فيفري 2007 مستشار الرئيس المدير العام لمؤسسة الاتصال الشر والإشهار anep. إلى يومنا هذا

إن الشاعر الشعبي توفيق ومان لم يهدأ و لم يتوانا بل استمر في الاجتهاد والعطاء، حتى ال به المطاف رئيسا للرابطة المغاربية سنة 2009 ، وبعدها بسنة تم تعيينه عضوا للجنة الدائمة العليا بمديرية الأدب

والفنون الجامعة الدول العربية بالدوحة، بعد الانتخابات التي جرت في عمان أين ألت إليه الأصوات وحقق الفوز ب:15 صوتا وذلك بتصويت 15 دولة لصالحه، ومعارضة دولتين له مصر وفلسطين، أما العراق فقد امتنعت عن التصويت، وليس هذا الفوز إلا نتيجة لجهد ومصداقية الشاعر الجزائري المبدع أمام الآخر، كما تم تنصيبه رسميا عضوا للجنة الدائمة العليا لمهرجان وملتقى الرواد العرب بالجامعة العربية بالدوحة في نوفمبر 2010، إذ أصبح بهذا المنصب يرشح المبدعين الجزائريين ودول المغرب العربي كلها في مجالات الإبداع، وحاليا هو يعتلي منصب رئيس الجمعية الوطنية للأدب الشعبي، ويعد صاحب دار النشر فيسرا .

**ج- إصداراته:**

لقد تميز الشاعر توفيق ومان بغزارة عطاءه الفني وكثرة انتاجه فقد أصدر عدة أعمال منها: ديوان رعدة الغزال في 2001 والذي صدر عن المؤسسة الوطنية للنشر والإشهار، كما أصدر سنة 2003 ديوانا شعريا بعنوان " خبر كان " الصادر عن دار فيسا للنشر والتوزيع، وفي سنة 2005 أصدر مجموعة شعرية تتكون من 25 قصيدة تدور حول الغزل.

وفي سنة 2006 أصدر كتاب موسوم " با آنطولوجيا الصورة المكنون في الشعر الملحون " عن الرابطة الوطنية للأدب الشعبي، كما أصدر في نفس السنة الأصوات السوية في القصيدة الشعبية الجزائرية"، كما أصدر ديوان بعنوان " حذق مذق "في 2006، ولقد توالت إصدارات الشاعر سنة تلو الأخرى، ففي سنة 2007 أصدر "أنطولوجيا الشعر الشعبي الجزائري المعاصر "، وفي سنة 2008 قام بإصدار "رباعيات عبد الرحمن المجدوب"، أين قام بجمع قصائد المجدوب وأصدرها في كتاب، كنوع من التكريم لهذا الشاعر المشهور في الخارطة الشعرية الشعبية وكنوع من الحفاظ على قصائد بدا صيتها يخف بسبب الزمان وتغيراته، وفي نفس السنة تطرق أيضا إلى إصدار كتاب " أنطولوجيا الرجل والملحون في الشعرية الشعبية الجزائرية المغربية ". وفي سنة 2010 أصدر ديوان شعري في قرص مضغوط تحت عنوان " على صهد النار"، أما في سنة 2011 قام بإصدار كتاب " الوشم في النص الشعبي الجزائري "، وبعدها أصدر ديوان شعري بعنوان " لبسني لكلام " وذلك في سنة 2013، والذي يحتوي على قصائد متعددة الأغراض، منها المتعلقة بالوطن و الغزل وغيرها، كما قام في نفس المسنة بإجراء دراسة حول الشعر

الشعبي وثورة التحرير. كما أصدر أيضا fleur D'amour وهي مجموعة شعرية، ترجمة الحبيبة زوكي .

لم ينحصر اهتمام الشاعر توفيق ومان بالشعر فقط بل تعد إلى كتابة اللصوص المسرحية، حيث استقى من كل ناحية ومن كل مجال، وهذا التنويع في الإنتاجات والإصدارات، وإن دل فإنه يدل على تشيع الشاعر بمختلف الثقافات وسعة معرفته وتعدد اهتماماته وغزارة مخزونه العلمي والمعرفي، فمن بين الأعمال المسرحية واللصوص التي أصدرها نذكر: اللص المسرحي الذي أصدره سنة 2013 تحت عنوان " البوهالي والبازوكة" والتي ستنجز بالمسرح الوطني محي الدين بشطرزي، إلى جانب إصداره لنص مسرحي بعنوان "رقصة الخيل" وهو تركيب شعري قم و غرض بالإفتتاح الرسمي المهرجان المحترف طبعة 16 نوفمبر 2012، ومن جهة أخرى نجده أصدر مسرحية بعنوان " الرادار الثورية المكنون في الشعر الملحون " وهي عبارة عن مسرحية شعرية إذاعية، إلى جانب المسرحية والمعنونة بـــ " الصالح لصاصن "، إضافة إلى مسرحية " سي عبلة كوكيدية".

## 2- تجليات الحس الثوري في القصيدة الشعبية إبان الثورة :

شعر رسالة حضارية، أساسها التأثير والتأثر، بعد ما كان الشعر في القديم، يسبح في عالم من الخيال، أصبح اليوم يحاكي الحياة مباشرة، ويواكب جميع التحولات، التي تشهدها الحياة، وهذا ما رفع فنية الشعر الحديث، لقد تغيرت الأغراض الشعرية، وتبدلت بأغراض أكثر ارتباطا بالإنسان وقضاياه «فظهر الشعر الثوري، والشعر الاجتماعي، والشعر القومي والشعر السياسي، فالشاعر لم تعد تهمه الأشياء الخيالية، بقدر ما تهمه الحياة الواقعية فسخر شعره للتعبير عن الأحاسيس، وعن المجتمع، والمشكلات الاجتماعية».[1] فالشعر أكثر الفنون انفجارا وتأثيرا بجرسه، وعاطفته، وحماسته، وقدرته على التحريض والدفع والإثارة، بطاقة مخزونة بقوة الشحنات الوجدانية العاطفية، والأفكار المتفجرة المنطلقة وكل الفنون لها دورها في أدب الثورة، لكن الشعر يبقى هو الجسر السهل ، والقريب، والخطير والفاعل في الوقت نفسه، ويبقى الكهرباء ذات الشحنة المؤثرة في أعماق الإنسان، والتي تجري في عروق الشعب كدم يغلي في بركان ثائر».[2] قد عبر الشعر الشعبي، عن آلام وآمال الشعب، وأسهم الشاعر الشعبي في الصمود الوطني فندد بأفعال المستعمر، وكشف فضاعته، وتتبع الأحداث السياسية، وحث شباب بلاده على الجهاد، والكفاح، وأشاد بالأبطال والشهداء، وتغنى بالحرية والاستقلال، حتى أنه حث العرب على الوحدة.

والمتأمل في النصوص الشعرية الشعبية، وبخاصة القصائد التي أرخت لثورة التحرير الوطني، يحس بمدى وعي الشاعر، بحقيقة الاستعمار، وتصويره، واستيعابه لطبيعة الصراع الحضاري على أرض الجزائر.

ولعل أهم النصوص الشعرية التي تتناول هذه الثورة إشادة، ونصرة، وإجلالا لها وافتخارا بأبطالها، النصوص التي تحمل عناوينها دلالات ثورية، أهمها:

نوفمبر، الاستقلال، مجازر الثامن ماي، مؤتمر الصومام، الثورة ... الخ

---

[1] مصطفى بالمشرى، المأساة الفلسطينية في الشعر الجزائري مجلة الثقافة، العدد 57، الجزائر ماي جوان ،1980م 109

[2] ابراهيم رماني، أوراق في النقد الأدبي، دار شهاب، باتنة، الجزائر ، ص 32

ويقف الشاعر الشعبي في صفوف المناضلين، الذين يدافعون بألسنتهم، وأقلامهم، لأن الذي يقومون به، لا يقل أهمية، وتأثيرا عن دور المقاومين بالسلاح، فالكلمة المعبرة البليغة، تنفذ إلى أعماق النفس، فتهز الوجدان، وتسهم في شحذ الهمم، وقد كان الشاعر يتابع عن كثب مجريات الأحداث، وكل التحولات في جوانبها الاجتماعية والسياسية ويتفاعل معها ويتعاطف مع آلام الشعب وجراحه، ثم يتخذ من ذلك موقفا، يترجمه إلى قصيدة شعرية، ولذا كان من الطبيعي، أن تنجب ثورة الفاتح من نوفمبر شعراء اعتنقوا مبادئها وانضموا إلى صفوفها، وناصروها، وساهموا في تعبئتها يقول الشاعر علي عبد الواحد حرز الله:

نوفمبر حليت و اهلالك هلل او نجمك لامع فاسما داير مشهاب

مرحبا باقدوم نوفمبر كي طل او يا مرحب بالي جانه بعد ان قاب

هيا يا شباب جيل المستقبل ذا نوفمبر راه من عز الاحباب

هذا الشهر الي نح عليك الذل أو عهد ابيك لا اتخونو يا شباب

دار امعيا نوفمبر عهد او كمل فالربعة أو خمسين عهدوا كان اصواب

اثنين او عشرين عنهم انعول و اجتمعو في دار صاقة من الصحاب

اتخذو قرار مكتوب امعجل واحروفو بالدم كاتبها كتاب [1]

ويقول أحمد سعدون في ملحمته الثورية التي لم يكن أبطالها جيوشا مدربة بأسلحة متطورة بل كانت الطبقة الشعبية بقيادة أبطال هبوا لنصرة بلادهم، ودفعوا الغالي والنفيس ليحافظوا على وحدة بلادهم، فوقفوا سدا منيعا أمام أطماع الغزاة :

يوم الفاتح جات صفحة ملفوفا مكتوبة سجال بالدم المرشوم

علنوها رجال نغمة معزوفا من قمة لوراس موقفهم محسوم

باصوات الرشاش طلقات أعنيفا و امدافع دخانها نيل بغيوم

[1] فاطمة الزهراء الشبلي ، شعر الثورة الشعبي في الجنوب الجزائري ، جمع ودراسى، كلية الآداب واللغات، جامعة بانتة ، الجزائر ، 2014، ص 189.

مصطفى و بيطاط نشاط و خفا بن لمهيدي ذاك ديدوش و قسوم

بوضياف الصنديد رمز المعرفا معروف بخصلات بالثورة مغروم

صفحات التاريخ زينة محفوفا مرقومة بحروف بالذهب المختوم

والشاهد لوراس واجبال الشفا جرجرة والمحارقة واجبال اقسوم

اغلب هؤلاء الشعراء عاشوا فترة قاسية، من فترات كفاح الشعب الجزائري، بل عاش بعضهم مأساة الغزو الفرنسي، وما عاناه الشعب الجزائري من ويلات، وجراح و نكيات ».[1] يقول الشاعر:

بسم الله بديت وعلى النبي صليت

سيدي مصباح لبيت نبينا محمد

راني نحكيلكم حكاية صحيحة

ماهيش دعاية

المجاهدين حاضرين معايا

ماصار في وقت الجهاد

ثار الشعب المخلص باولادو

يقاتل على ارض جدادو

وشف الفرنسي وين عادو

حتى لابسو السواد

نحكيلكم على ما فات

قبل اليوم بسنوات

ويصف الشاعر عيواج عبد الحميد، الدمار الذي أحدثه الاحتلال الفرنسي:

هذا الشعب الزين عندو ما قاسى تقتيل و تخريب و لدمو مصاص

عيشتنا خروب و كسانا قسنة مانعرفش النوم و لا طعم نعاس

[1] التلي بن الشيخ، منطلقات التفكير في الأدب الشعبي، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1990، ص 70

عهد المحتلين بالماء نتحسي مول الخير فقير في أرضو خماس
الهارب مشبوه ماعندو رخصة و القاعد محجوب ما يعرف تحواس
ذوقتنا ليعات نشرب بالطاسة و الشعب المقهور نصو في لحباس
كم المفقودين في هذا المأسة خلاو الديار و قطعنتا للياس
خلالة الصبيان خلالة النساء خلاو الأنعام ماليها عساس
لا عجوز يكون ليهم تانسة أرملات اصغار مخنوقة لنفاس
هاجس ليل يطيح عندما تمسي من فيراق ازواجهم و حديث الناس
اغتصبوا زوجاتنا يا انيسة حملو مالكفار وشرفنا ينداس

ويقول أيضا، في قصيدته الوصية:

ماذى من لموات راها منسيى فالابار ابقات مردوما فالسر
نساء و رجال مدفونا حيى وبقات الروفات تشهد عالمنكر
شافت هذ العين نساء مسبىى و التاريخ أيعيد نفسو ماىنكر
عانات الويلات دوار و قريى مدت سبع سنين و النار اتزمهر
لحم البل ايطيب و الخاطر يعيي و العاقل معلوم عقلو يتودر
هذا هتك كبير وهموم اقويى و الهارب لاوين يمنع في ذالبر

ثم يتوجه الشاعر الهادي جاب الله إلى الشعب، ويطلب منهم أن يكذبوا ادعاءات فرنسا، منوا لها أن الجزائر عربية مسلمة، ولن تتخلى على لغتها، ودينها، وجذورها وأصولها بعدما «عزز الاحتلال غزوه العسكري للجزائر، بغزو ثقافي فكري، في محاولة منه لتحطيم شخصية العربية الجزائرية»[1]، ويتطرق الشاعر إلى الحديث عن مكانة الاستعمار وكيف أنه قد بذل كل ما في وسعه، لقتل روح المقاومة لدى الشعب الجزائري وطمس شخصيته، يقول الهادي جاب الله، في قصيدته طاح الصليب:

التعريب لينا و التفرئيس لا لا و اللي انحرف عن الشريعة يخسر

[1] عمار طالبي، ابن باديس، حياته وأثاره، دار الغرب الإسلامي، الجزائر، ج3، 2، 1983 ، ص 94.

يا رفقاي لغة الضاد السمحة لنا احناي
بنور الكتابة ساطعة للغاية تتزيل من حكيم جامسترسل
هي لغة اسماعيل يوصفحاية باني الحرم جد العرب امفصل
تفخر بيها هي لغة الكتاب من ينفيها
لسان العرب واسع يجلجل بيها فيها معاني كبار لا تتحسر
غير ادخلو للبحر عومو فيها النحو عربي تقسمو بالمفصل
مش عصبية نطوعوو ونقاومو الأمية
تقرا البرية اسرارها مخفية فرحان بعد الجهل عدت نفسر
بدل نعم ب (وي) الفرنجية لغة اجدادك زيد بيها تفخر
ندير الكتابة الكل بالعربية تاريخها ظاهر قديم مسطر.[1]

ويصف محمد بن جدية فشل الاستعمار وكشف أكاذيبه، في قصيدته ذكرى 27 فبراير :

افشل لستعمار و أبدى في التحيال كيما دار الحيلتو اكشفناها
واتقدم ديغول بالخطب او قال عيون الصحراء احنا طلعناها ا
تتبقى لينا او هاكم لستقلال الجزائر ليكم وانتم اهلاها
قلنالو هذا كلام انتاع اهبال هذي هدره فارغه غير انساها
اشبر واحد ما انخلوهش موحال الصحراء لينا نحن أهلاها
ماتت عنها ارجال اكثيرة و أطفال قطعة من الوطن هي وأبناها
سجل لينا فيفري هذا المقال قامت مسيرة التاريخ أرواها
فى اثنين وستين وقعت بالتفصال سبعة وعشرون في الشهر تورخناها
خرجت جماهير كل أنسا وأرجال يسقط لستعمار موتو قلناها
الصحراء جزائرية لا تبدال واخرج يا ديغول ماكش مولاها

[1] احمد زغب، الشعر الشعبي الجزائري من الإصلاح إلى الثورة، الهادي جاب الله نموذجا 1882/1978، ص 74.

أما حسان درنون، فيقول في قصيدته ذكرى 20 أوت 56

وتحسب في كل الناس مهابيل و تشري المبدا بذاك القنطار

ياعدونا مناش بغيين التأويل حبين نكونو في وطنا احرار

نكلها شعير و نشربها كليل ما نبيع المبدأ و ما نرمي الشعار

الاستعمار قرر لثورتنا التضليل وتقول للعالم ماعندنا قرار

في الستة و خمسين تبعثت مراسيل لكل مدينة و دشرة و دوار

ربي يرحمنا و يسقينا سلسبيل ويرحم اخوانا الشهداء ابرار

« يعد الشعر أحق فنون التعبير، بتمجيد البطولة وتخليد الأبطال، لأن يجمح إلى الأد المجرد، جموح الخيال وعمقه ، وقوة العاطفة وجرأتها، وشمول النظرة ونفاذها »[1] سجل بطولات المجاهدين، وخلد بطولاتهم، وبشرهم بالنصر حيث قال الشاعر عبد الله برمكي، في قصيدته معركة العرق الغربي:

د- جان درنون "

نتفكر فرسان النخوة شجعان كانو همة وشان كلمة معصورة

كلمتهم بارود فيها ياسر شان فيها عزت نفس كلمة معبورة

فيها شدة على عدوهم ما تليان كلمة وحدة ثابتة ضد الحقرة

ويقول الشاعر في قصيدته فرحنا بالتحرير:

ثورة التحرير ما عظمها فكرة والفكرة عبرة من سورة الأنفال

توكلنا على الله ومنه النصرة والشدة في الله ماتخيب محال

ونصرها الإله رايتنا الخضرة والخير جانا بتضحيات رجال

والخير ذقناه من ذيك الشجرة وتحقق مراد كان لينا فال

[1] ابو القاسم سعد الله، دراسات في الأدب الجزائري الحديث ، المرجع السابق، ص 70.

لقد حق للجزائريين أن يتغنوا بمآثر الثورة وأمجادها، برجالها ونسائها، الذين صمدوا وقاوموا بكبرياء، وشموخ وعظمة ، من أجل تحقيق الحرية، والسيادة والوحدة، يقول الشاعر بشير مسعودي، في قصيدته ثورة التحرير :

و تفقه على أول نوفمبر كاملين يوم الإثنين الساعة صفر نبداها

فألف و تسعمية و ربعة وخمسين شاف المستعمر هزيمة ما فات راها

كلمة السر عقبة و خالد الصحابيين و الله و أكبر الشعار اللي وتاها

قال بن مهيدي لحوها للمواطنين يحتضنوها حتى تبلغ مبغاها

وضمها الشعب و فرح بالمجاهدين و كان ليها الحصن المنيع و ضراها

اول هجوم تاريخي فالخمسة و خمسين يوم عشرين أوت اش كبدناها

و هجمات ستة و خمسين كل مؤرخين سال فرنسا علينا المر سقيناها

وسال الجرف و سمندو راهم شاهدين و عين صاف و غيرهم باش كتبناها

وسال المستعمر يقول لك حنا مين شرب الحنظل من يدنا ما ينساها

لقد انجبت الجزائر "عدد من الأبطال الشعبيين الذين لم يكن لهم إسما يذكر، ولكنها الشدائد منبت الرجال ومصنع الأبطال، فقد تكشف الجماهير عن أبطال حقيقيين، أظهرو من الحنكة في القيادة، والاستبسال في الحرب، ما ألحقهم بأبطال الأساطير شهرة ».[1]

يقول الشاعر جماعي امحمد في قصيدته تجمعوا الأبطال:

يوم تجمعوا الابطال في البلاد وضربوا العديان داروا عاهد واتفقوا عليه وبدا الخط يسير

و طلبنا عند الله باش ينصر جيش التحرير

داروا عهد يمشوا عليه هذا المنهج رباني لا يقعد احد على الجهاد وخلق فيه التكبير جرات

خيوطه في البلاد و البدو و السكان طلقوا العمارة الأولى سمعنا منها البشير

عافوا المال و الأولاد باهرة ما حاروا الفاني بالشجاعة كانوا يكافحوا وكال الخنزير

[1] امجد الطرابلسي، محاضرات عن الشعر والحماسة والعروبة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ت ص 108

حملوا لها جهد السلاح شدوا لها الكفان كذا من كلب يحزموا لها في يوم التي

وعيات الطيارات و اليشار عداد الجردان وعيات لواطها منين تدفع بالعساكر

و عيات قنابلها تلوح تطلق جهد النيران مولانا فشلها و طوعها ناس مناقير

وماذا رفدت الأحباس من رجال ورقلوا البيان نساء و رجال مكتفين لا احد عانات صهود الكير

ماذا رفدت من عيب في الوطن و قتل الصبيان ماذا خرجوا مجاهدين هذا أمر القدير

ماذا حرقت غابات صادقة في هذا البلدان ماذا نهبت تجار و الكسايب شي مال كثير

ولأن البطولة لم تكن حكرا على أحد، خاطب الشاعر جميع الشعب، وحث الشباب على المضي قدما، يقول لعمار الحاج، في قصيدته ثورة نوفمبر 54:

من ليلة نوفمبر جات الفكرة قررنا باللي انواجه الكفار

بديناها تكبير عظىم القدرة وقمنا بالجهاد في حق الجبار

ويقول أيضا، في قصيدته ليلة نوفمبر 54 :

ولا فينا ذلول و لا من هو مرعود تسمع الرصاص ابصوتو زغراد

و نوفي لبلادنا كل العهود اقسمنا بالله نبلغ المراد

ويواجه من قاصد وعنو حقود وقفة بطل ما يىردوش رداد

و شجاعة لبطال تشبارة اسود الرهبة و الخوف راميهم في واد

ماشي للقدام و ينال المقصود ايقابل النيران ابصدروا صداد

واترك الأموال مافيها نقود اسمح في لعيال الزوجه ولولاد

وينفي ذا الغدار من ارض الجدود قصدوا في تحرير وطنو و البلاد

وما يرضاش ايشوف قدامو حسود ايصفيها من كل اغيار وفساد.

وإن البطولة الحقة، ممثلة في الثورة نفسها، بما فيها من إيمان، وحماس ومجد، إن الثورة قد ألهمت الشعر كثيرا من الموضوعات، التي لم يكن يخوض فيها من قبل ».[1]

[1] ابو القاسم سعد الله . دراسات في الأدب الجزائري الحديث، ص 75.

ولهذا جاء شعر الثورة غزيرا، ووفيرا قويا، ورفيقا، واقعيا وحيا، لا خياليا ولا صوريا يؤرخ ويخلد مراحل حية من تاريخ الجزائر العظيم.

لقد تجلت الشجاعة الأدبية بأسمى صورها ، في مواقف الشعراء، فكانت كلماتهم تنبض بالحياة، وتنشر الشجاعة ،وحب التضحية في سبيل الوطن، ولهذا كانت دعوة الشعراء دعوة صريحة إلى الثورة ، والجهاد، والى تحطيم القيود والأغلال، التي طالما كبلت حرية هذا الشعب، وأوصدت أمامه كل أبواب العيش الكريم، وهذا ما جاء على لسان الشاعر البار احمد، في قصيدته ملحمة الجزائر:

الله اكبر تخلفوا منهم الثار باب الصلح يكون مفتاحه مقفول

يا وطني عادت الساعة بنهار وشدت متعاركة من عرض و طول

يا وطني فداه قصفت من لعمار يا وطني ماذا نقص من ذا المرحول

يا وطني قداه من صبيان صغار ماتت امه على أصدرها في البزول

يا وطني ماذا احصدنا من دمار ذاك اعمى هذا أمكسر ذا مشلول

يا وطني قداه حرقوا من دوار هاذا هامل ذا مشرد ذا مهبول

ذا قتلوه و ذاك صاقوه الزكار ذا يتعذب ذا مسلسل ذا منقول

يا وطني حر صمايم و الهجار ارض امغبه اسرابها هايج مسدول

يا وطني ليل اشتا صرد و قمار راني خايف لا الحال اعليك يطول

اتحتمنا لهموم صار و صار ويكت يا ربي الظلم يروح بزول

لقد وعى الشاعر الشعبي، منذ البداية حقيقة الاستعمار، وعبر عن نواياه الخبيثة وحث الشعب الجزائري على التمسك بحقه، في صنع تاريخه الحافل بالانتصارات مهما طال الزمن.

وهذه مقطوعة عن شاعر مجهول، بعنوان جبناها بزناد والله أكبر:

شعب الحرة ثار با تلولو و اصحر ثورة مشهورة بالعالم فيها حار

ما حسب الجلاد بالحفد مغور كواي و الكف مشدود بالمسمار

وليالي بجليد واراح مصرصر ما مفارقة أكياد مهجورين صغار [1]

ما رهبو سجان بعذابوا امنكر والحيطان تسيل بالدم الفوار

لاكي النيران واحديد مزير لا ذباح الصبيان و فواحش العر

لا حرق الخيام لا نسف المدير لا حصد الرؤوس لا ضرب الحصار

والحلف لجاري حلف مدمر بانواع لرهاب و سلاح الدمار

طيارتوا رعدة جو معكر وبوابيروا شاقة مواج البحار

تحطيط و تنظيم حربي متطور بر و يحز و جو تمطل كالأمطار

والمخابرات تكذب وتزور و الأسلاك الشايكة حاطت بالأسوار

ثورة شعبية بعزيمة تبهر حرسوها الملايكة باذن القهار

وبهذا التعبير المستمد من صميم الوجدان الشعبي، يتلخص لنا موقف الشاعر الشعبي من قضية وطنه، هذا الموقف الذي جاء نتيجة معاناة شعبه لمختلف ألوان التعذيب، غير أن اساليب التعذيب، ومهما تنوعت، فإنها لا تستطيع أن تقهر إرادة شعب أراد الحياة، وصمم على الكفاح من أجل التحرر.

كما أورد الشاعر عبد الله برمكي في قصيدته المعنوية برسالة أبطال الجيل الاستقلال والتي تشع بالأمل ، والثقة بالشعب صانع الثورات، واصفا عزم الشعب الجزائري مبرزا صلابته، وصبره في الحوادث التاريخية الكبرى، مركزا على الروح الوطنية قائلا:

الدنيا لناس معروفة تدوال والدنيا للحق ترجع دوالة

دوام الحال فحيتنام لمحال ومهما طال الليل تجيه الإزالة

واذاحب الشعب يتحدى الغلال ماتكسر عزيمتو حتى حالة

نترحم زيغود يوسف والأبطال وعميروش وخميستي والرجالة

نتفقد رجال تعرفهم لجبال ويعرفهم الأوراس فحل لجبالة

تعرفهم جبالنا عز الرجال ومعرفين رجالنا أهل بسالة

[1] فاطمة الزهراء الشبلي ، المرجع السابق، ص 205.

ما يرضاو الذل ولا الإعتقال ولا يرضاو الغيرهم إستمالة
شعب تزاير حر عربى الإنتسال ولدم الإسلام نسب السلالة
أما فيه من نخوة لبطال معروفين شجاع ماهم ملالة

كما يرفض الشاعر الشعبي الحلول الترقيعية، التي كانت تقترحها فرنسا، وكل ما حاول استعمار تقديمه كبديل للاستقلال، لأن الثورة تعني الرفض التام لكل طروحات العدو مقاومته، مقاومة مسلحة لتحقيق الاستقلال[1]. ولذا يقول الشاعرالتومي سعيدان:

عزو كرامة وجيش بهم نعتبر و يرجع مجد أوطانا عروبتنا تكمل
عصر الاندماج راح غلطة لا تغفر داخوا ملوا بداو يجروا وين الحل
تعترف مرغوم ياك نربح يا فاجر ومن العاصمة إلى انقزام نحتفل
الجزائر شعيها فريد اصلو و اعر و ارجالوا لو كان زاد عزمو زور التل

ولهذا السبب ظل الشاعر الشعبي يحرض أهل الصحراء على الثورة والتوحد :[2]

يقول عبد الله برمكي في قصيدته رسالة أبطال الجزائر لجيل الاستقلال :

في بشار جبالها طلت بظلال لطفي لتاريخ خلا مقالة
والهقارجبالها جبال التعوال والطاسيلى لهيه ناسوخصالة
فالصحراء ورجالها ياسرلخصال رجال القمنة فالصحاري خيالة
ناس على تيعاد لثورة مزال مزالو برودهم في شعالة
عاهدنا لبلادنا ما فيه قوال كيما لول عاهدو ليه تواله

« لقد مر الشعر الجزائري بأطوار ثلاثة: وهي الطور الإصلاحي، وآخر سياسي، وثالث ثوري، غير أن ما يميز هذه الأطوار، هو تداخلها، وتكاملها فيما بينها، إذ نجد كل طور إلى جانب آخر، وبالتالي كان

[1] يحي الشيخ صالح، شعر الثورة عند مفدي زكريا، دار البعث، قسنطينة، ط1، 1987، ص55
[2] يحي الشيخ صالح، المرجع نفسه، ص 71

من الصعب على دارس الأدب الجزائري، أن يضع فواصل محددة لهذا الشعر، فهو شعر يجمع بين الإصلاح، والسياسة والثورة، طيلة فترة الكفاح النضالي».[1] وكان لاندلاع الثورة التحريرية، الأثر البالغ في دفع الكثير من "الشعراء الجزائريين إلى التعبير عن هذه الإنطلاقة الثورية الحماسية في تاريخ الجزائر، هاته الثورة التي أذكت العواطف، وهزت المشاعر، والأقلام التي فرض عليها المستعمر الكبت، لكن جاء هذا اليوم الأغر، ففتحت أمام الشعر آفاق رحبة، وتغيرت نفوس الشعراء بشعر ثوري عارم يسجل انتصارات مرة، ويبشر بالاستقلال والغد الحر، ويتغنى بالوطن، والحرية ويشارك المتأملين، ويضمد الجراح و يكفكف الدموع ».[2]

وهكذا وجدنا الشاعر الجزائري، يثور من أجل وطنه، فيفجر في شعبة الحقد، والغضب والرفض للمستعمر، فهو مدرك تماما لأهمية قضيته، ولهذا لم يتخلف عن الركب، بل كان دائم الحضور المستمر، والفعال في جميع الظروف، التي عاشها الشعب الجزائري، في كل انتصار يحققه، وفي كل خطوة يخطوها نحو التقدم، ولدينا نماذج كثيرة من القصائد الثورية التي نظمها شعراؤنا إبان الثورة، يعبرون من خلالها عن حماسهم الفياض، والروح الثائرة المتأججة نارا، وحقدا على المستعمر

يقول الشاعر حسان درنون، في قصيدته المسيرة :

نادى المنادي يا مجاهدين حرروا بلادكم من هاذي الاشرار

إيمان بالله رب العالمين و غيرة عالوطن خرجنا بيها جهار

قلنا الله اكبر ضد المعتدين نعاهدك يا بلادي نخرج الاستعمار

السن بالس و العين بالعين حكم العدالة مافيه اختيار

المونة و سلاح تنقلت في الحين والله أكبر قالوها احرار .....

اطلع للجبال كل قادر و مكين ما بقى في القربي الا أولاد اصغار

ابطال الثورة باك متحدين ما قبلوا العدو يعاشر الدوار

[1] انيسة بركات، أدب النضال في الجزائر، ص 149

[2] ابو القاسم سعد الله ، دراسات في تاريخ الأدب الجزائري الحديث، ص 46

ما خللوه يفرق بين واحدو اثنين شوفوه النجوم في عز النهار
شعلوها حرب عالمغتصبين صحارى و تلول سماء وبحار
ضربو بقوة بترولوا الجنحين خللوا دموا يسيل اسواقى و انهار
وين باغى تهرب يا عدونا والوين؟ كتبلك التاريخ محتل و غدار
كتبلك التاريخ خط في الجبين دنيا و آخرة تكوى بالنار
كتبنا الله شهداء حيين جنة النعيم من عند الغفار

يقول العيد دبوسي، في قصيدته هلال نوفمبر:

ناض الشعب انتاعنا واعلن ثوره بعد الظلمة طل نوفمبر لهلال
قلنا يليق بلادنا ترجع حره اتحزمنا للعدو نسوه و رجال
و الاوراس للي بدا اول مره تفرقت جيوشنا حكمت لجبال
قلنا يا كفار يدزينا حقره ثم شعلت نارنا تقدي مشعال
واهول هذا الوطن دشره دشره غيرنا نوفمبر من حال لحال
شعب الدزاير عالوطن عندو غيره نار الحقرة مارضيناها تطوال
قلبنا حياتها رجعت مره بالايمان فرنسا ذاقت لهوال
من المليون ونص نعطوك العبره يا سايل خصلاتنا خصلات ابطال [1]

وبذلك عاش الشاعر الثورة بوجدانه، وانصهر فيها انصهار مؤمن بقضيته، متحديا الاستعمار وكل وسائل الترهيب، مما أدى به إلى أن يعيش بقية سنوات الثورة، تحت الإقامة الجبرية التي لا تعني سوى فقدان الحرية.

لقد أمن الشاعر الشعبي بالنصر، وتيقن من مجيئه، إلا أن هذا كامن في الإيمان بالله، كون الجهاد إعلاء لكلمته، وفي هذه الأجواء الإيمانية، وهذه الروح الإسلامية الخالصة، لا ترى الشاعر الشعبي، إلا وهو يتابع خطوات المجاهدين، ويتنسم أخبارهم مستبشرا، منتغصا كالمارد الجبار، محطما أغلاله فتتراءى

[1] العيد دبوسي، آهات، دار الوسيط للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2010، ص94.

له آيات الفجر، الذي يتشقق عنه الأفق، باعثا خيوط الحرية على أرض الجزائر[1] يقول الشاعر عبد الواحد حرز الله في قصيدته يوم الشهيد:

لا اطلسي لا جيوش الكفر اتفيد لا جنيرو لا اعساكر لاتهداد

لا خطة ديقول لا بيجار اعنيد زحف الثورة جايكم محمح لكباد

هيا يا بابون ما ينفع لحديد و ارحل يا موريس سلكك راشي عاد

لطفي و اعميروش و العربي صنديد علة و الحواس تاليهم صياد

مصطفى و اصحاب ما ليهمش اندير و حسيبة و اقرانها ما همش احياد

و القايد زيان ما يقبلش القيد سبع الصحراء قطع اسلاسل و اعقاد

زبانة و ديدوش هذا نق اجديد و المنادي صاح هيا للجيهاد

وش نحسب پاخاوتي قلولي زيد منا الغدوة ما انلحق خمس أعداد

ارجال انصدقوا الله في الجنة وعير هاذا قول و ما إيخالفشي تيعاد

إن الشعر الشعبي، في هذه المرحلة شعر سياسي محض، تدور مواضيعه حول قضايا الشعب الجزائري، وأوضاعه المختلفة « فهذه الثورة تعد منعطفا تاريخيا زعزعت العواطف وهزت المشاعر والأقلام، التي كانت من قبل مكبوتة، وفتحت أمام الشعر أبوابا وآفاقا، وتفجرت عواطف الشعراء، بشعر ثوري، يشير إلى الاستقلال والحرية و يتغنى بالوطن، ويخلد الشهداء والأبطال ».[2]

ويقول الشاعر، واصفا قيمة هذه الثورة، التي جددت أمل الأمة العربية، في الوحدة والحرية الشاعر علي لميزي، في قصيدته ثمرة جهاد:

اللي وطني مايعيشش يذلل واعلى الوطن يكون في الساحة مغوار

الجزائر ما هيش لعبة يا راجل قدوتنا هما الشهداء البرار

[1] محمد زغينة، الأبعاد الموضوعية في سجنيات شعراء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، الهلالية لأعمال طباعة والنشر، الجزائر، د.ت، ص ص 56،57

[2] انيسة بركات ، أدب النضال في الجزائر ، ص 100

بمليون ونص ضحينا كال و انهضنا جميع ضد الاستعمار

في الربعة و خمسين ارفعنا المشعل في الفاتح نوفمبر قامت لحرار

جبهة التحرير حبت تستقل جزايرنا ما اتعودش للفجار

هذا واجب قدماتو هو لول ثاني واجب ما اتحملناش العار

ثار الشعب او قال بالعزمة نوصل واتعاهدنا ضد العدو مهما جار

وحدنا جيوشنا ما نحمل ذل شتتنا عديانا هانت لعمار

خضنا معركات في الصحرا والتل شردناهم باقيا لليوم اثا ر

و اكتبنا تاريخ بالدم مسجل في مارس تسعة او عشرة لنتصار

وفي الخامس جويلية ذا الخبر اوصل عيد الاستقلال جابوه الشطار

ويقول الشاعر العيد دبوسي، في قصيدته هلال نوفمبر[1]:

و الميت ماهوش ميت بالمره موت العزه خير من عيشة لرذال

عيش الذل ارخيس و البنه مره بفضل الإيمان بفضل الرجال

خرجنا عديانا عادوا ب را لا تنسى يا جيل الدم للي سال

ان العقيدة تدعو معتنقيها إلى الاستعلاء، وعدم الخضوع للقاهرين، لأن القوة المادية وحدها، لا تخيف المؤمنين بالله، جبار السموات والأرض، القاهر فوق عباده أجمعين.[2]

والشاعر في عودته إلى عقيدته، مؤمن بأنها قوة كبرى، تكسرت عليها كل محاولات الاستعمار من جهة، ومن جهة أخرى، فإن هذه العودة ترضي الله سبحان وتعالى، لأن المؤمن بالله – يجازيه بالشهادة و الرضى– يقول الشاعر العيد دبوسي، في قصيدته وطني:

ولد بلادي نا يسموه الثاير حتى ناسو زايخة من جيل لجيل

علا صوتو قال ياوطني حاضر كل الشعب ثار في يوم التهويل

[1] العيد دبوسي، آهات، ص 94.

[2] سيد قطب، في التاريخ فكرة ومناهج، دار الشرق، لبنان ط5، 1982، ص 8

تاريخو معروف م العهد الغابر الشامخ شامخ ما يحب يعيش ذليل

بشرى بالفردوس ليه وللصابر قصف عمرو باه عمر الوطن يطيل[1]

وفي هذه الحالة الإيمانية، يعيش الشاعر العيد دبوسي، في قصيدته هلال نوفمبر، لحظة استشرافية قائلا:

يكثر خير للي انصر هاذ الثوره مانكرش الخير مهما طال الحال

وللي علا صوتنا ضد الكفره للي عاون بالسلاح ومد المال

وارزقهم فردوس ياعالي القدره ارحم ياربي الشهداء لبطال

بيهم وطني عاد باهي فـــ النظره بيهم درنا عرسنا وارتاح البال

هم للي غرسولنا هاذ الشجره شلوشو جيش العدو ذاق المحال

واجعلها ياخالقي جنه خضره احفظ يا ربي بلادي صون الرجال[2]

ودون شك، فإن « العامل الروحي في الثورة الجزائرية، كانت له أهمية كبرى، ولذا نرى كثيرا من المجاهدين، حين يحدثوننا عن هذه الثورة، فهم لا يرون الفضل فيها إلا الله، الذي نصرهم وهم قلة، وأمدهم بأسباب القوة وهم أضعف ما يكونون» ولذا يقول الشاعر مبرزا هذا الجانب العقائدي:

ذوك أبطال الجهاد حبهم ساكن لي الاكنان

فيهم الأمان اللي تحطم أجماعة الطغيانى

انصرهم مولنا اصحيح على جمع الفجار

لاخاطر لابغوا وجور لشوابع الخزياني

جنود الله ظهروا الحق و يموتوا على الايمان

يقول عبد الحميد عبواج، في قصيدته عيد النصر:

اهل التضحيات و رجال الهمة الشهد لبرار جندي و الفيداي

[1] العيد دبوسي، آهات، ص 97

[2] العيد دبوسي، آهات، المرجع نفسه، ص 94

ارحمهم يا خالق الكون ابكلمه كاف و نون ايكون مرادك لباي

سكنهم أصور فالجلة العظمى دار الخلد الكون ليهم يا مولاي

ونحيي من جاد عنهم بالرحمة ونسلم الشيوخ الكلمة و الناي

في هذه الأجواء الإيمانية، يسترسل الشاعر حاثا خطاه نحو الآخر، لأن الموقف الاستشهادي، هو «الأصالة التي لم تعرف عبر تاريخ كفاحها الطويل ضد المحتل الفرنسي، خفظة راس، أو انحناءة ظهر ... منذ أن وطأت قدم أول فرنسي أرض الجزائر».[1]

يقول الشاعر، مبرزا هذا الموقف، داعيا للشهداء «لأن الدعاء فطرة في الإنسان، إذ يلتجئ في ساعة العسرة إلى الله، وذلك غريزيا دون أي تقليد، أو تعليم بإشراق النفس، وصفاء السريرة في تلك اللحظات الابتهالية ... مما يخفف آلام الداعي ، ويرفع عن كاهله هموم الحياة ».[2] ولذا يقول الشاعر، مترحما على الشهداء:

ربي ترحم الميتين و الحي يحينا ثاني

و انعيشوا في قصره حافلين و انعيدوا ماذا صار

ياغافل شوف الرجال تخصل و انت نعسانى

ويقول الشاعر أحمد جربيع، في قصيدته أروي يا تاريخ:

يوم تحررنا قلنا القلب ابرد بالروح فداك ذاك الغيور الأصيل

مليون و نص فالجنة تسعد تركو ما وراهم كلش للسبيل

هوما صدو ووفاو العهد و العار علينا الوطن يبقى عليل

لازمنا علاج الجرح يتضمد يبرى ذا الجرح و يموت العميل

الوطن أمانة من جد الجد حب الوطن وارد في حكم التنزيل

عاهدنا الشهيد قبل الا ايصد امانة في عنوقنا لازمها تحميل

[1] محمد ناصر، الرمز في الشعر الجزائري الحديث، مجلة الأصالة س10، ع 81، الجزائر ، ص126

[2] محمد زغينة ، المرجع السابق، ص 186

ارجالو موجودة و حراسو ما ترقد سبوعة يحموه من كل اتمهزيل

أكد الشاعر أن الموت بالنسبة للشهيد، ليست نهاية الحياة، إنما هو استمرار لها، وهو بعث من جديد، ويجب علينا أن نصون عهده، وأن نحافظ على البلاد:

والميت ماهوش ميت بالمرة من يقبل كيد العدو يعني ذلا

لقد خلد الشاعر الشعبي، الشهداء الذين استشهدوا في ساحة الشرف، فوصف حزنه وألمه المرير، وحسرته على هذا الشهيد، الذي قدم نفسه فداءا لوطنه، وأمضى عمره يقاوم العدو ببسالة واقدام، يقول الشاعر عيواج عبد الحميد، في قصيدته الملحمة الكبرى :

ادفعنا شباب بيهم ضحينا شهداء لبرار سقطر في الميدان

ماتوا موت العز تركوها جنة مسقية بالدم و دموع الصبيان

وللي مات شهيد راه يحسبنا في يوم الوعيد امام الرحمان

كان احنا خناه فيها فرطنا و اتركناها سابية فيدالعديان

ما يرض لا هولا ربي عنا نتحاسب حساب العبد للي ان

ويقول محمد بن جدية، في قصيدته ياوطني عليك أنظمت لشعار:

ارحم ياربي الشهداء لبرار دىراهم في جنة الفردوس ابلاس

جوار الرسول طه بولانور محمد شفيعنا يوم الخلاص

مع حور العين أزوج الابرار بالؤلؤ و الياقوت في أفخر لباس

الي حررو لوطن رغما عالكفلو الجزائر طهروها من لنجاس

إذا ذكر الشهيد، يتبادر إلى الذهن معنى التضحية والفداء، ولهذا نجد الشاعر الشعبي ايشيد بخصال الشهيد، واصفا صلابته، وإقدامه وشجاعته ، حيث يقول الشاعر بوحميدي العربي، في قصيدته " الثورة نوفمبر قام الملاح" :

و هذوك لي ضحاو بالمال و لارواح وهذوك الي خرجوا سبيل في حق الجبهة

و هذوك الي جابوا الخيرات و لفراح وخضر وبيض يالخوا فيه نزهى

فيه دم الشهداء راه يوضح توضاح و النجمة و لهلال شوفوا وراها

كما يحث الأجيال القادمة، على احترام ذكرى الشهداء، والوفاء لعهودهم، وتخليد ذكراهم يقول الشاعر برمة عبد القادر، في قصيدته شهر الشهداء:

من واجبنا ذا الشهر رمز انخليه وحدو شامخ كالجبل للبعد بيان

رافع راسو للسماء لا ما يثنيه اهلا يامن جبنا أمس بالامان

حدثنا كيفاه العدو طقت عليه لباك طلب النداء و طفى النيران

بشرنا ياهلال بشيء نشتيه واجينا نحكوا أحداثك للشبان

انت النصر اللي يصبح هاك نسميه في ذي الذكرى ذات كسرنا القضبان

بها تحرر ذا الوطن أعاديه دمرنا عزاتنا قبلو النفيان

يا من عشت احداث ذا التاريخ ارويه اشرح لهم ما فعلنا بالعديان

وهذا التوجه يعود إلى أن العقيدة «حين تستقر في الضمير البشري استقرارا حقيقيا، فإنه يستحيل عليها أن تبقى ساكنة، يستحيل أن تبقى مجرد شعور وجداني في اعماق الضمير، إنها لابد أن تندفع لتحقيق ذاتها في عالم الواقع، ولتمثل حركة إيجابية في عالم المنظور، حركة تبدع الحياة كلها، وما ينشا عليها من ألوان» [1].

ولذا كانت الشهادة في نظر الشاعر، مطلبا جهاديا، بعيد الأغوار لأنها «الحقيقة التي شاء الله أن يعلمها للجماعة المسلمة، وهي تتعرض للإمتحان، وتتعرض للابتلاء، وتنكشف فيه خفايا النفوس، كما تتميز فيها الصفوف، تحت مطارق الابتلاء، ومشقة التجربة ومرارة الآلام».[2] ولذلك يقف الشاعر مترحما على هؤلاء الشهداء، الذين ضحوا بأنفسهم في سبيل تحرير وطنهم، وارضاء ربهم، وبل جعل الترحم على الشهداء، واحدة من صيغ الخواتم في القصيدة الثورية الجزائرية :

ارحم من ضحوا في الجهاد اعميروش الوطاني

[1] سيد قطب، في التاريخ الكرة ومنهاج، ص 23

[2] سيد قطب، هذا الدين، دار الشروق، لبنان، 1978، ص 11

ابن المهدي عز الجهاد ، حواس قبروا يتزار

ويقول الشاعر البار أحمد، في قصيدته ملحمة الجزائر:

ارحم يا ربي شهادة الابرار بجاه نابينا طه الرسول

ويقول الشاعر، في قصيدته جبناها بزناد والله اكبر:

ارحم يا ربي الشهدا وانصر وأحفظ يا ربي ماخلاو بجاه المختار

والشاعر اللودي الطاهر، في قصيدته :

ترحم شهادتنا برحكتك ياعالي الأقدار حرارين الوطن يسكنو الجنة العالية

أما الشاعر حسان درنون، في قصيدته 20 أوت 56 يقول:

ربي يرحمنا ويسقينا السلسبيل ويرحم اخوانا الشهداء الأبرار

ويقول لزهر عجيري ، في قصيدته "يحكيلي جدي" :

نتمنى للوطن ذا العهد المجيد يرحمهم رب الشهدا لبرار

وفي هذه الأجواء الروحية الثورية، النورانية، عاش الشاعر مأساة الشعب الجزائري، وتصور معاناته، وتفاعل معه، فكان شعره دفقة شعور، ووقفة مسؤولية، بروح وطنية متمردة؛ معاناة، وتصورا، فهو « أبعد ما يكون عن الادعاء والحذلقة ؛ فحسبه فخرا أن يستمد من الثورة عفويتها وعمقها، و يكون لها شاشة تلفزيون صادقة» .

وتمتد تجربة الشاعر الشعبي، إلى كل العروبة في مشارق الأرض ومغاربها، نتيجة الروابط الدموية والدينية، ووحدة المصير، لأن هذا التصور «له جذوره الحضارية والنفسية؛ ولأن الشاعر الشعبي، يرى أن نور الحرية منبعه الشرق؛ شرق الحضارات، والديانات، هذا من جهة، ومن جهة ثانية، فإن الشاعر يرى أن الشرق العربي هو الساعد الأيمن للثورة الجزائرية" [1] ولذا يقول الشاعر التومي سعيدان :

الأردن والكويت و السعودي زيد اليماني

سوريا ولبنان ناس قومية من الأخيار

[1] محمد زغينة ، المرجع السابق، ص ص 174، 175

خوك اللي ساخي كريم زيد الحسان الثاني

في الجزيرة ثم اخوان متكلة على الإخواني

خلصهم يارب وزيد زودهم بالامان

تتكسر كل الأغلال و السلاسل تبرى الاحزاني

و تجمعوا شمل اللي تشتوا في ارض القيفار

وتقول الشاعرة مي غول

مانيش على ذي الدزاير و ذي الجيل انا جرحي كبير ونزين فالو

جرحى من لغواط حتى نهر النيل زيد ليها بغداد و احسب اجيالو

و القدس امن ليه جاتو ابابيل من بني صهيون لعبو باحولة

جيت انلم الجرح ضحكو لمهابيل قالولي محال تتلم اهوالو

اهبلنا وأهبالنا غمضات امقيل في بستان يضمنا تحت اظلالو

أما الشاعر رزقي زلوف، في قصيدته "سجل يا تاريخ" فيقول والحسرة تعصر قلبه:

من مشهد لمدفع يضرب لبنان

التهودي الخنزير منتن مشرذم

وجه للاسلام قنابل رشاشات

يحصد في لرواح ما يعرف ندم

الفلسطين ولبنان ص واريخ امشات

و المجلس الأمني للوضع متفهم

حرب على الإرهاب من عهد السادات

حق الفيتو في بيد القرد الأسهم

وفي ايدينا التنديد رياس و دولات

لا لاسرائيل و الجرم الدايم

لا للشوك في احقولنا وسط الزهرات[1]

واذا كان الشاعر يمتاز بهذه الأصالة القومية، فإنه في هذه المحنة الجزائرية، يتمنى أن شن فلسطين أيضا، قائلا في عيد استقلال الجزائر:

ثم نفرح و نقول ابقات حاجة نقروها ثاني

في المسجد الاقصى احذاه تتفشوا يا شبان

انسوسوا عار السابقين و انفوزوا بالأماني

الصهيوني مثل الدرين دقوا يصلح للضاني

لقد سجلت القصيدة الشعبية، حضورا قويا في نشر الوعي الاجتماعي والسياسي وقد عكست إحساس الشاعر العميق بالانتماء للأمة العربية، حيث تبدو العروبة والإسلام محور افكيره وانفعاله بالقضايا، والأحداث قال الشاعر بلقاسم حرزالله، في قصيدته نوفمبر :

يا بنو قحطان سلسلة العرب سجلتو تاريخ تقراه الصبيان

قومو الإتحاد جميع العرب قولوها كلمة صريحة لا خفيان

اشعلوها نار حامية تلهب احرقو فيها اليهودي الجبان

قومو للجهاد في مرضاة الرب اقتلوا صهيون زيدوا الماريكان

الفدائي راه بسلاحو يضرب ونشارك جميع ونرد عدوان

عنها نموت جميع شباب وشايب وتشارك نسوانا حتى الصبيان

فلسطين الغالية لينا تنسب من عهد التاريخ مقدس للعريان

يا خوتي أيا نوحد ذ المغرب وين المسلمين أمة القرآن

وهكذا يكشف لنا هذا الشعر مدى وطنية الشاعر، وتعلقه بكل رموز الوطن، ومدى معاناته، وشوقه للحرية، والحياة الكريمة، و لذلك كان شعره شعرا وجدانيا ثوريا، مرتبطا بهذه الثورة، مسايرا لها

[1] العربي دحو، معجم الشعراء الشعر الشعبي في الجزائر من القرن 16 إلى أواخر العقد الأول من القرن 21، دار السمعية للنشر والتوزيع ، ط1، 2011، ص203.

في معظم مراحلها لأن الشاعر تجذر فيه الشعور الوطني والإحساس بالثورة، وأدرك أن رسالته ذاتية فارتفع إلى مقام القيادة، والتوجيه، مصر على ألا ينفصل عن مسيرة الثورة الشعبية، التي تطمح الى القيم الإنسانية الكبرى: العدالة، والحرية والاخاء، إضافة إلى تبلور معاني الوطنية التحررية في فكره وقصوره، فكان شعره سجلا حفلا بتموجات الأحداث، واحساس الشاعر بآلام قومه، وطبيعة الصراع الدائر في أرض الجزائر.

### 3- البعد الوطني عند الشاعر الشعبي توفيق ومان :

يعد الصف الأول من القرن الماضي مرحلة مهمة في تاريخ الجزائر الحديث، وذلك بسبب ما عرفه من أحداث متأثرة بظروف الجزائر السابقة، ومؤثرة في الحياة السياسية والاجتماعية المواكبة والتالية لها، «فقد انبعثت النهضة الوطنية بعد الحرب العالمية الأولى، وظهرت الأحزاب والهيئات السياسية والثقافية، وتزايد النضال الوطني ضد الاستعمار وأوضاع التخلف، وأدت الجهود السابقة إلى القضاء على الركود وإلى ظهور روح وطنية تهدف إلى تغيير الأوضاع السلبية الموروثة عن القرن التاسع عشر».[1]

وعندما يلتمس الباحث « مظاهر النهضة الوطنية في الجزائر، يجد صورتها الكاملة في النهضة الأدبية بصورة عامة وفي نهضة الشعر على وجه الخصوص».

إن النزعة الوطنية إبان الربع الأول من القرن الماضي كانت على جانب كبير من الضعف والبساطة، ويبدوا ذلك في « انعدام التنظيمات السياسية، ووسائل الإعلام، والقيادة الوطنية التي تحدد أهداف النضال وطرقه، وأنها لم تتجاوز المشاعر الفردية لقلة المثقفين وعدد من الموظفين ».

وقد أدى هذا المستوى المحدود من الوطنية إلى تكوين لجنة وطنية سنة 1908، مهمتها الدفاع عن حقوق الجزائريين ».

ويعتبر التطور النسبي للأوضاع الوطنية السياسية بعد الحرب العالمية الأولى، وتزايد الوعي الوطني منذ ذلك الحين، واستئناف الصحافة الوطنية لكفاحها ضد التخلف والاستعمار وظهور كل من الشيخ **عبد الحميد ابن باديس** والأمير **خالد** على مسرح الحياة الوطنية انعكاسا على الشعر الوطني، ويلمس الباحث ذلك « في الآراء التي بدأ الشعراء يعبرون عنها، فقد تخطو موقف الخوف والترهيب، ووصفوا الأوضاع السيئة، ونددوا بالشقاء الذي يعاني منه المجتمع الجزائري، كما دعوا إلى النهضة وإلى تغيير الأوضاع، ولمحوا إلى الجوانب السياسية، واستعملوا في ذلك التقية والكناية والرمز في الموضوع والتعبير».[2]

ومن بين الشعراء الذين اهتموا بالحياة الوطنية وأوضاعها السيئة في المرحلة الأولى للنهضة " المولود الزريبي" فقد نشر قصيدة بعنوان: "فيا وطني" يقول فيها:

فيا وطني لم آل جهدا وإنما رأيت زماني مع زماني آتيا

---

[1] د.أحمد شرفي الرفاعي، الشعر الوطني الجزائري من 1925 إلى 1954، دار الهدى للطباعة و التشر، عين مليلة، الجزائر، 2010، ص:10 .

[2] .أحمد شرفي الرفاعي المرجع نفسه، ص 72.

فكم تصبوا لي في هواك وانثنى ضميري وقد أبديت نفسا عصاميا

فكنت أحاكي في سبلي نافخا رمادا فدائي قد أتى من دوائيا .

يعبر الشاعر عن حبه لوطنه ويشفق عليه من أوضاعه السيئة، ويأسف لضياع جهوده بسبب الخمول وضعف الوعي، لأن الوطنية عنده « ليست اتجاها سياسيا معينا ولا موقفا من قضية أو حق وطني، وإنما هي غيرة نابعة عن علاقته الروحية والمادية بوطنه، وقد عبر عنها في قصيدة تتضمن الدعوة إلى تغيير الأوضاع السيئة وتحقيق أوضاع أفضل، والملاحظ أن الشاعر يعنى عناية خاصة بالثقافة، كما أنه يستمد آراءه من التاريخ العربي ودور الثقافة في الحضارة العربية الإسلامية».[1]

إن المفهوم السابق للوطنية وهو مفهوم عام وبسيط نجده أيضا عند "رمضان حمود" وقد عبر عنه بقوله: « الوطنية أن تنصر الفضيلة، وتكشف اللثام عن وجه الحقيقة، الوطنية كتاب صحائفه القلوب، وماده الإخلاص».

فهو يعطي للوطنية مفهوما أخلاقيا تجريديا، لا يرتبط بالأوضاع الاجتماعية المتردية ولا يتعرض للحقوق الوطنية.

ولقد تطرق الشاعر "محمد الهادي الزاهري" أيضا إلى فكرة الحرية والحقوق الوطنية وهذا ما عبر عنه بقوله:

أفتش عن حمراء طفلا عشقتها وفي البحث عنها ما يمت و لم آل

وقد خبروني أنها ابنة ضيغم وأن بينها في المغارب أشبال

وأن الذي منها يفوز بنظرة من الناس طرا إنما هو رئبال.

ومع تعلق الشاعر بالحرية نجده يعبر عن أفكار سياسية أخرى تتصل بالنضال الوطني وحتميته، دعما للنزعة الوطنية وتأكيدا عليها وتحديا لأعداء الحرية يقول:

وليس لنا إلا الجزائر موطن تربك فيها واحد وترابي

سأقضي لها حق الأمومة إنها بلادي التي فيها محط ركابي[2].

عبر الشاعر هنا عن آراء سياسية مهمة، ومفهومه الوطنية يقترب من النزعة الثورية، فهو يقطع على نفسه العهد بالنضال من أجل الحرية والتجنيد الدائم لخدمة المصالحة الوطنية ومصلحة الوطن، إذ ذلك يتطلب تخليصه من قيود المحتلين، كما تتمثل في تحقيق النهضة الاجتماعية الوطنية، وكلا الهدفين يتطلب جهودا وتضحيات من بينها الموت فداء للوطن ومصالحه.

[1] د.أحمد شرفي الرفاعي، المرجع السابق، ص 73

[2] الزاهري محمد الهادي، شعراء الجزائر في العصر الحاضر، المطبعة التونسية، تونس، ج1، 1926، ص: 199

ويمكن أن نستخلص من كل ما سبق، أن مفهوم الوطنية في الشعر خاصة وفي الأدب عامة، حددته عوامل سياسية وثقافية مؤثرة تؤكد أن النزعة الوطنية كانت ضعيفة إبان الربع الأول من القرن الحالي، فلكل مرحلة تعريف خاص بها إلا أن معظمها تشتمل على نفس المضامين.

وتعتبر دراسة الشعر الشعبي، وتسليط الضوء على شخصية الشاعر الشعبي توفيق ومان مكسبا مهما للباحث في مجال الأدب الشعبي، وهو ما يدعونا إلى إظهار أهم المواضيع التي عالجها في أشعاره، والسؤال المطروح هو إلى أي مدى ساهم الشاعر توفيق ومان في اثراء الشعر الشعبي وإضفاء التجديد عليه ؟ وكيف تمثلت الوطنية في أشعاره.؟

يعد الشاعر الشعبي "توفيق ومان" رغم غزارة إنتاجه الشعري، ومساهمته الفعالة في الرابطة المغاربية وتمثيل الجزائر في المحافل الدولية، إلى أنه غير معروف في العديد من المناطق، وربما يعود ذلك لقلة الدراسات حول أعماله، إلا أن المعروف عنه- توفيق ومان-تميزه بروح الوطنية، فهو وطني بما تحمله الكلمة من معنى، ويحب وطنه حتى النخاع ودليل ذلك كثرة أشعاره حول الوطن والتغني به، أين نجده يبدع في تصويره ووصفه.

وكثيرا ما استخدم الشاعر الرمز في أشعاره، ودلالة ذلك ثقافة الشاعر الواسعة، فالشاعر الشعبي لا يختلف عن غيره من شعراء الفصيح، فهو يملك رصيدا ثقافيا وأدبيا يجعله يصور الأحداث ببراعة وإتقان.

إن حب الشاعر توفيق ومان لوطنه، والتمسك به يجعله لا يكتب قصيدة إلا ويذكر فيها وطنه مفتخرا برجاله وبأبطاله، حيث يقول في قصيدته " نشعر للوطن "*

بديت شعر للوطن حبه حبه والشعر وحيوا زاد في هاذ العام

كلامي ع الوطن ماهو كذبه وإذا كنت قاسي واله ما نتلام.[1]

يمكن لهذين البيتين أن يكونا مفتاحا للكشف عن الحب الذي يكنه توفيق ومان لوطنه وشوقه الكبير له، وهذا الحب الكبير أدى إلى زيادة وحي الشعر لديه، فهو يتأسف لكونه لا يستطيع إعطاء للوطن حقه، لذلك يعتبر نفسه قاس وهو دليل على القيمة التي يسموها هذا الوطن.

ويواصل الشاعر في ذكر الأبطال والبطولات التي عرفتها الجزائر، وذلك باستخدام رموز البطولة كاستخدامه اسم "الهواري " الذي يقصد به الرئيس الجزائري المرحوم **هواري بومدين** حيث يقول:

الهواري كي گان ما كنت عقبة وعرضي لكتاف گانوا ليا قزام

والله يا صياد يا رواد اللبه زين حبيتك فاق كل لريام.

[1] توفيق ومان، ديوان شعري بعنوان " حق مدق "، منشورات فيسرا، برج البحري الجزائر، 2010، ص:95

هذه الشخصية الثورية التي رسمت لنفسها صورة في المخيال الشعبي بمواقفها السياسية وقت الثورة وبعد الاستقلال، والتي تعلق بها الشعب وتمنى أن تأتي شخصية وتحكم الجزائر على منواله. واستخدم الشاعر أيضا رمز " الكعبة " و" لعلام" حيث يقول:

قبلة للأحرار رجعتها كي الكعبة واللي تغطى بجناحك والله ما ينظام

كان إزاره أبيض مغطى ذا القبة وذاك القصر كان يرفرف فيه علام.

حاول الشاعر من خلال توظيفه رمز "الكعبة" تشبيه الجزائر بها، وذلك إيحاء منه بقداستها وعظمتها وشرفها، فوجه الشبه في استقطاب الزوار لأن الجزائر تعتبر قبلة لجميع البلدان.

أما دلالة توظيف كلمة "العلام" في هذه الأبيات، يوجهنا إلى دلالة الألوان الثلاثة التي يحملها، حيث أن لكل لون دلالته الخاصة، فالأحمر يرمز إلى دماء الشهداء الأبرار، والأبيض يرمز للسلام، أما الأخضر فيرمز للأمل.

كما عالج الشاعر توفيق ومان وصور الحالة الاجتماعية حين يذكرنا بالسنوات السوداء التي عاشتها الجزائر أثناء الاستعمار، يقول:

أيام الذل حملتهم في رحبه ولرياح العاتية جابت ذا لغيام

الطالب رومي واليهودي كتبه وذاك لخرز مرسم فيه اسهام

بعد لحدورة رجعت طريقنا عقبه وللي كان ذليل ما يولي حشام.

يصف الشاعر في هذه الأبيات الأذى والألم الذي ألحقه الاستعمار بالجزائر وشعبها، حيث انقلبت حياة الجزائريين رأسا على عقب، أثناء التواجد الاستعماري في الجزائر، فشبه الوضع القائم " بأعوام الذل" والتي يقصد بها الاستعمار، وذكره لمصطلح " الرومي اليهودي" دلالة على بشاعة القمع الذي يمارسه هذا المستعمر.

والشاعر رغم نشأته وقت الاستقلال، إلا أنه يعي جيدا الألم الذي عاشه الشعب الجزائري وقت الاحتلال، فأخذ يكتب ما تجود به قريحته في هذا الشأن.

ويهدف الشاعر من خلال أشعاره إلى « عكس ذلك الشعور بالفقدان أو اليأس اتجاه الحالة المزرية التي عاشها شعبه، وذلك باعتباره فردا منهم، يصارع مثلهم ويحس بمعاناتهم فهو يرفض هذا الوضع، ويتعاطف مع أبناء وطنه ويتضامن معهم، بالوقوف ضد هذا العدو».

يحاول الشاعر الشعبي توفيق ومان من خلال أشعاره أيضا، إلى تحذير أبناء وطنه من الاغترار بالكافر، فيدعوهم إلى الاعتزاز والفخر بوطنهم، كما يبين أيضا مدى الإعجاب الكبير الذي يكنه لوطنه، وحق له أن يكرس موهبته وشعره لقضية بلاده وحريتها وذاكرتها المثخنة يقول في قصيدته "جزائر أمجاد "[*].

هاذ الكلام منظوم من شاعر أكتبها على وطن "حا " بسيف حداد
برغم الفقر والجهل زاد عذبها وشعبها ثار بعزيمة وعناد
خلف البحر بسلاسل نحاس وظلم نورها اللي كان أوقاد
لوحة حزن وفنان بسلاحوا رسمها واعرضها بمتحف التركة بعناد.[1]

فالوطن يكتسب قيمة كبيرة في نفس الفرد الجزائر، فهو« يشكل أحد مقومات الوجود، وأساس الانتماء، فحب الإنسان وارتباطه بالوطن، شعور إلهي ينشأ مع الفرد منذ وجوده الأول في الحياة، لكن هذا الحب قد يقوى ويتمكن حين يتعرض الوطن إلى الاحتلال، فالتجربة المعاشة في الجزائر إبان الاحتلال الفرنسي، هي تجربة مريرة وقاسية، عرف فيها الفرد الجزائري قيمة الحرية حين خاض صراعا مريرا مع العدو، الذي اعتبر الجزائر فرنسية وعمل على تجريد الشعب من أرضه وتعريضه إلى معاناة الحرمان والجوع وفقر».

إن الشاعر الشعبي وبحكم الصلة الوثيقة بينه وبين الشعب، هو في مقام الذي يعالج كل قضايا المجتمع، من أجل التخفيف عنه مره وشحنه للوقوف ضد العدو مرة أخرى، فنجده من خلال قصيدته " أنا قلت الجزائر"* يعالج قضية مهمة جدا وهي قضية "الوحدة" يقول فيها:

أنا قلت الجزائر
الوحدة فنات غليها رجال
القيد تنح والغريم زال
سبع سنين كان النضال

يشير الشاعر توفيق ومان في البيت الثاني إلى مسألة مهمة، تتمثل في الوحدة فهو يعلمنا أن الرجال ضحوا بأنفسهم من أجل وحدة البلاد واستقلالها، ومن ثم ينتقل ليشير إلى مدة النضال التي قضاها الشعب أملا في الحرية، وأنه قد حان الوقت لطرد المستعمر حيث يقول، "القيد تنخ والغريم زال " فهو بذلك يبشر بأن المستعمر قد خرج من الديار واستعادوا وحدتهم وسيادتهم، وهذا له دلالة مفادها أن « الشاعر الشعبي يحمل عبئا ثقيلا – باعتباره أديب الثورة– كما يعتبر مشكلة تواجه العدو، باعتباره مركز الإعلام ووسيلة لنشر الأحداث الواقعة في المجتمع».

إن الشاعر الشعبي كغيره من الشعراء، يحس بمعاناة الشعب ويعيش ذلك القهر والظلم الذي عاشه وعانا منه ولذلك راح يصف تلك المعاناة، كما تراه من جهة أخرى يفخر بوطنه وأمجاده، وهذا ما انعكس في إبداعات الشاعر توفيق ومان في قصيدته "ولد الصحرا"*

[1] توفيق ومان، المصدر السابق، ص:09

سقسي عن تاريخنا تلقى فيه شجون ووﻻيتنا السادسة اللي قادوها ابطال

شهدانا احرار دمعهم سال عيون سي لعرافي ولحواس تحفظهم لجبال.

الشاعر هنا يفخر بتاريخ الجزائر وبأبطاله الذين اتخذوا الجبال مسكنا لهم من أجل حماية البلاد والدفاع عنه ضد المستعمر، فلقد تركوا أهلهم وأحبتهم، وضحوا بأنفسهم فداء للوطن.

وفي قصيدة أخرى تحت عنوان "طير الجبال" يتحدث فيها الشاعر عن المجاهد إذ شبهه بالطير الذي يحوم فوق الجبال، وذلك باعتبار أن المجاهدين أثناء الثورة كانوا يتمركزون في أعالي الجبال، لكي لا تتمكن القوات الفرنسية النيل منهم، إذ يقول في أبياتها الأولى:

علي وزيد يا طير لجبال وغطي سما لوطان بجناحك

وزيد الهمة في العلو بلرتال وشد لحزام وقوي اعضالك

واعزم بالوحدة وهمة الرجال وقوي زنود افحول ترضالك

نحي العار وخزي النذال اللمة همة وعلى صوارك.[1]

جاءت هذه الأبيات بمثابة خطاب يوجهه "ومان" للمجاهد أين يأمره بالزيادة في العلو، والمقصود هنا بالعلو، الحركة والإستراتجية المناسبة التي يجب أن يقوم بها المجاهد لكي يشمل كل المناطق التي يتمركز فيها الاستعمار وأن يحاصره من كل الجهات وذلك من خلال قوله " غطي سما لوطان بجناحك " فقد شبه المجاهد بالطير الذي يغطي فراخه تحت جناحيه، وذلك نظرا للحاجة الماسة التي ينتظرها الوطن من المجاهد بهدف تحريره من أيدي الاستعمار، وبعد ذلك انتقل الشاعر إلى ذكر الطريقة التي يجب على المجاهد أن يتبعها عند ممارسة كفاحه التي تتمثل في "شد الحزام وتقوية العضلات".

وبعد الحديث عن المجاهد والدور الذي يجب أن يؤديه تجاه وطنه انتقل إلى ذكر الاستعمار إذ وصفه " بالعار "، " النذال "، وذلك بسبب أعماله السيئة والشنيعة التي مارسها على الشعب الجزائري وأرضه، فأكد أن وجوده على أرض الجزائر يعد عارا لا يمكن لأي فحل أو شجاع تحمله.

لقد انتقل الشاعر إلى ذكر خصال المجاهد التي يتمتع بها والمتمثلة في" قوة التصدي"، "قوة العزيمة"، وأكثرها" الرزانة في الكلام " فالكلام الذي يلقيه المجاهد على الأهالي يساهم بقدر كبير في تقوية العزيمة لديهم ويقضي على المخاوف التي يزرعها الاستعمار في نفوسهم، وهذا ما يظهر من خلال قوله:

بكلام رزين وحكمت أقوال له جناحات طور مثالك

[1] توفيق ومان، المصدر السابق، ص: 211.

نحي خوف حگام أذلال الراس انقطع والمصير هالك.[1]

كما راح يقدم أمثلة عن الشعوب الثائرة ليزيد من حماسة المناضلين، خاصة أن كل الشعوب التي ثارت على عدوها حققت نتائج إيجابية بطرد المستعمر من أراضيها وذلك في قوله:

شعوب ثارت تزيد لهوال وللجام مشدود وزهم شالك.

وعليه فقد ختم الشاعر قصيدته "طير لجبال " ببعض المميزات التي تشير إلى شخصية المجاهد الجزائري منها رمز للتزال، " يجري للنضال،" ما يخضع لحاكم مذلال " "في الجبال جوال"، وهذا ما يظهر من خلال قوله:

الطير الحر رمز للتزال يجري للضال هز شانك

ما يخضع لحاكم مذلال للشهادة قاصد وللعرض صانك

الطير الحر في جبال جوال للراية رفع وللحرية مالك .

كما يدعوا أيضا إلى رفع الظلم والوقوف ضد أساليبه، حتى ينصف الشعب ويرجع حقه المسلوب، من أمن واستقرار وسلام، حيث نجده يؤكد بأنه لن يسمح ولن يفرط في حقه، يقول في قصيدة "62"*

يا فرنسا احنا قايمين

باللوحة والصيصال جايين

ولكلام ربي حافظين

مزلزلين الأرض مزلزلين.

وقد نجد الشاعر يهلل ويغرد، بأن ساعة الحسم والفصل قد حانت، وهي إخراج المستعمر من البلاد، يقول في نفس القصيدة

ولسما صارخين... بالله أكبر... فعل آمين

يا فرنسا ما بقالك بين وبين

هذا العام اسموا 62.

يشير الشاعر هنا إلى سنة الاستقلال 1962، والتي هي بمثابة العيد للجزائريين، حيث نصرهم الله، وأخرجوا العدو من الديار، ونالوا الاستقلال، فاسترجعوا أرضهم وحريتهم.

ما نلاحظه في شعر "توفيق ومان" وهو يخاطب وطنه، أنه ينقل الجامد إلى المتحرك الحي، إذ يسند صفة الإنجاب إلى الوطن، وهي صورة فتية دليل على القيمة التي تملكها الشخصية الجزائرية، فالشاعر بتوحيده بين الكون

[1] توفيق ومان، المصدر السابق، ص: 211.

والإنسان يبرز حسه الإبداعي، فدلالة الإنجاب التي نقلها من الإنسان إلى الوطن توضح الداخل والتفاعل النفسي بينهما، وهذا ما عكسه من خلال قصيدته "الجزائر" :

جزائر يا أم الأحرار

جزائر نحكي ونقول عليك

كل ما غزلوه ما يوطيك

غمزة البعيد واللي ليك

وجملة النذال ما تحنيك .

ومن هنا « نجد الصورة والرمز، قد حددا أيضا نوع الخيال الذي يمكن أن يلاحظ في تعابيرهم الفنية وفي موضوعاتهم المختلفة، وإذا كان البعض من يتناول الصورة الشعرية تعود على منح الخيال أو الرمز فيها ».[1]

وقد اختلف الدارسون للأدب في تحديد معنى "الصورة" أو الوسائل المحققة لها، فمنهم من يراها في الخيال وأخر يراها في "اللغة" وفريق ثالث يربطها بالعنصرين معا، وقد وظفها الشاعر في قصيدته "الجزائر" ويتبين من خلالها أنها تحاكي الصورة الشعرية التقليدية، من حيث الوسائل البلاغية، حيث اعتمد على التشبيه في قوله:

أنت سيف فارس بتار

ولبه سايره في لقطار.

ففي البيت الأول استعمل صورة بيانية ممثلة في التشبيه، حيث شبه غضب الشعب الذي يتعرض للأذى والضغوطات بالسيف الحاد، فعند انفعاله يصبح عنيفا مثل حدة السيف في يد الفارس الشجاع، فحب الوطن والخوف عليه يولد الشجاعة في نفوس الجزائريين.

كما ساق "ومان" في حديثه عن الجزائر، إلى إبراز دناءة وظلم الاستعمار أثناء تواجده بالجزائر، فشبهه بالذئب الماكر الذي يستعمل الحيلة ليسطو على ثروات الجزائر، ظنا منه أنه وجد المكان المناسب للاستغلال والاستيطان، وهذا ما يظهر بوضوح في قصيدة " شعر للوطن " حيث قال:

[1] العربي دحو، الشعر الشعبي ودوره في الثورة التحريرية الكبرى لمنطقة لأوراس،ص:233

قالوا عش فراخ نربي ونتربي وذيب الغابة طابلوا هاذ لمقام .[1]

إن الاستعمار الفرنسي لم يفلح في مهمته، لأنه وجد شعبا أبيا متمسكا بحريته ووطنيته، منددا بالسياسة الاستعمارية ورافضا لأي عنصر أجنبي دخيلك يشاركه أرضه ورواته، وهذا ما أشار إليه أحد الشعراء الشعبيين بقوله:

فرنسا المقهورة بأعمالها مشهرة

كي الدور الدورة تعمل في نار بعمزية.[2]

يصف الشاعر فرنسا بكلمة "المقهورة"، وهي دلالة على الظلم والاضطهاد، الذي مارسته في حق الشعب الجزائري، والدليل على ذلك قوله في العجز: بأعمالها الشينة مشهورة، أي أنها معروفة بأعمالها التخريبية، وقهر الضعفاء، وقتل النساء والأطفال والشيوخ ونشر الكفر، وذلك باستخدام القوة واستغلال ضعف الشباب ماديا ونفسيا، كي يتبعوها ويسيروا في صفها.

لقد جسد الشاعر الشعبي في أشعاره، معظم القضايا الواقعية المطروحة في المجتمع، وأبرز سلوك الفرد السلبية والإيجابية، وتنحصر معظم هذه القضايا في الصراع القائم بين أساليب الاستعمار، والذي نتج عنه « الفقر والقهر، والصراع بين الخير والشر والحرية والعدالة الاجتماعية ».

لقد عرفت الجزائر نهضة شاملة وقت الاستعمار، ونتج عن ذلك ظهور أفكار تحررية ضد الدخيل، وأدت إلى ظهور ثورات يقودها رجال العلم والثقافة، هدفهم الرئيسي خدمة الوطن، وهذه الأفكار تجسدت عند "ابن باديس" الذي يقول:« وأنا أشعر بأن كل مقوماتي الشخصية، مستمدة من "الوطن" مباشرة، فأرى من الواجب أن تكون خدماتي أول ما تتصل به مباشرة، لأنني كلما أردت عملا وجدتني في حاجة إلى رجاله وماله وحاله وآماله وآلامه».

لقد وظف الشاعر الشعبي "توفيق ومان" نفسه كرمز ليؤثر به على الفرد الجزائري، ولكي يعتز بنسبه وانتمائه إلى الجزائر فيقول في قصيدته: " ولد الصحراء "

أصلي بن مان وما نشرى بالعربون في الشدة فحل تزغزغ بها جبال

ولد الصحرا عود حرماني مدهون توفيق بن لزهاري قادر ع لهوال

احنا للجزائر كاملة دروعها حصون ما نفرط في بلادنا وما يغوينا مال.[3]

---

[1] العربي دحو، المرجع نفسه، ص: 96.

[2] التلي بن شيخ، دور الشعر الشعبي في الثورة (1830-1945)، ص:344

[3] توفيق ومان، ديوان شعري بعنوان "حق مدق"، ص

يمثل الشاعر من خلال هذه الأبيات دلالات إيحائية لبعض الكلمات الرامزة، وهذا وإن دل فإنه يدل على القوة الشعرية لدى الشاعر، فرمز" فحل " في عجز البيت الأول له دلالة رمزية توحي إلى الشخصية الشجاعة، فهو بذلك ينسب إلى نفسه القوة والشجاعة، وأنه مستعد في أية لحظة لأجل الدفاع عن الوطن، فصورة "فحل" هي صورة استعارية، ومن مميزات الاستعارة أنها « ينبغي أن تكون جميلة الوقع على الأذن، جميلة للفهم وللعين أو لأي حس آخر».

# خاتمة

في الختام سعى هذا البحث لإبراز أهمية ظاهرة الشعر الشعبي الثوري في الثورة الجزائرية من خلال ابراز صورة الوطن في الشعر الشعبي الجزائري وقد أوصلني هذا البحث إلى مجموعة من النتائج يمكن إجمالها في الآتي :

- إن الشعر الشعبي يحمل لغة ولون وروح وأثر ويعبر عن حياة الناس وتوجههم ونمط عيشهم وأفكارهم وثقافتهم ونظرتهم للعالم فكان الدافع الثورة التحريرية والمقاومة الشعبية عبر ربوع الوطن.
- الشعر الشعبي مهدد بالضياع والاندثار ومعرض عبر تداوله شفاهيا للتحريف، وهذا ما دفعني أن أجمع ما يمكن لي جمعه، وأن اكشف عن قيمته، ومكانته اجتماعيا وتاريخيا واقتصاديا وحضاريا ضمن النسيج التراثي، غير أن الكثير من المفاهيم ومبادئ الجمع الميداني لاتزال غير واضحة وغير معرفة تعريفا دقيقا، لا بالمعنى الوصفي، ولا بالمعنى الإجرائي.
- الشاعر الشعبي الجزائري من خلال التركيز على توفيق ومان قد نجح في توظيف خطابه الشعري، كوثيقة تاريخية بكونه شاهدا على أحداث الثورة، لأن تجربته الشعرية صيغت من صميم المآسي التي عاشها الشعب الجزائري، وقولبها النضال المسلح، فغدت قصائد الشاعر سجلا للمواقف الوطنية، وصورة ناطقة عاكسة للتفاعل مع الوجدان الجمعي للشعب.

ومن نتائج هذا البحث، الكشف عن حقيقة شعر مرحلة البناء والتشييد، التي كان فيها الشاعر الشعبي يتغنى بالمنجزات الكبرى في الجزائر، مما يبين بأن الشاعر الشعبي كان في فترات الشدة منافحا عن حرية الجزائر وأصالتها، وملتزما بالخط الثوري السياسي الوطني التحرري حتى بعد الاستقلال، ويرى نفسه مسئولا عن قضايا وطنه، كالوحدة الوطنية والتضامن الاجتماعي، وقضايا البناء والتشييد للمشاريع الكبرى.

وفي الأخير، فإننا على يقين أن الشعر الشعبي الجزائري، ما يزال بحاجة إلى جمع ودراسات لكي يتبوأ مكانته، ويأخذ دوره في الحفاظ على ذاكرة الأمة الثقافية، والحضارية والتاريخية.

# قائمة المصادر المراجع

**اولا: المعاجم:**

1. مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية،2014 .

2. لسان العرب مج 15 ص 338 مادة وطن، ، والقاموس المحيط ص 1598 .

**ثانيا: الكتب**

1- أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج 1، معهد الدراسات والبحوث العربية، القاهرة، د.ت.

2- أبو القاسم سعد الله، دراسات في الأدب الجزائري الحديث ، الرائد للكتاب الجزائر، ط5 2007 .

3- احمد زغب، الشعر الشعبي الجزائري من الإصلاح إلى الثورة، الهادي جاب الله نموذجا 1882/1978.

4- امجد الطرابلسي، محاضرات عن الشعر والحماسة والعروبة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر د ت .

5- أنيسة بركات درار، أدب النضال في الجزائر من سنة 1954 حتى الاستقلال.

6- بولرباح عثماني، الثورة التحريرية في الشعر الشعبي الجزائري، صور و مختارات، فيسرا للنشر الأغواط، 2012.

7- التلي بن الشيخ ، منطلقات التفكير في الأدب الشعبي، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، 1990.

8- التلي بن الشيخ، دور الشعر الشعبي في الثورة التحريرية 1830 إلى 1945، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983.

9- التلي بن الشيخ، دور الشعر الشعبي في الثورة، م. وك، الجزائر، 1983.

10- توفيق ومان، ديوان شعري بعنوان " حق مدق "، منشورات فيسرا، برج البحري الجزائر، 2010.

11- د التلي بن شيخ، دور الشعر الشعبي الجزائري في الثورة 1830 – 1945.

12- د.أحمد شرفي الرفاعي، الشعر الوطني الجزائري من 1925 إلى 1954، دار الهدى للطباعة و التشر، عين مليلة، الجزائر، 2010.

13- الزاهري محمد الهادي، شعراء الجزائر في العصر الحاضر، المطبعة التونسية، تونس، ج1 1926.

14- سيد قطب، في التاريخ فكرة ومناهج، دار الشرق، لبنان ط5، 1982.

15- سيد قطب، هذا الدين، دار الشروق، لبنان، 1978.

16- صليحة الصغيرة، حزب الثوار، جريدة اليوم، العدد 2257، سنة 2006.

17- عبد الحميد بورايو،في الثقافة الشعبية الجزائرية. منشورات رابطة الأدب الشعبي الجزائر 206.

18- العربي دحو: «الشعر الشعبي ودوره في الثورة التحريرية». المؤسسة الوطنية للكتاب. الجزائر. 1989.

19- العربي دحو، معجم الشعراء الشعر الشعبي في الجزائر من القرن 16 إلى أواخر العقد الأول من القرن 21، دار السمعية للنشر والتوزيع ، ط1، 2011.

20- عمار طالبي، ابن باديس، حياته وأثاره، دار الغرب الإسلامي، الجزائر، ج3، 2، 1983.

21- العيد دبوسي، آهات، دار الوسيط للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2010.

22- فاطمة الزهراء الشبلي ، شعر الثورة الشعبي في الجنوب الجزائري ، جمع ودراسى، كلية الآداب واللغات ، جامعة بانتة ، الجزائر ، 2014.

23- لخضر لوصيف، الشعر الشعبي الجزائري، قضاياه واشكالياته ، دراسة، ج1، المطبعة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2015.

24- محمد زغينة، الأبعاد الموضوعية في سجنيات شعراء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، الهلالية لأعمال طباعة والنشر، الجزائر، د.ت.

25- المدني أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1963.

26- المدني رحمون شاعر من مواليد مدينة طولقة ولاية بسكرة، شارك في حرب التحرير توفي سنة 1970م.

27- مصطفى حران، شاعر شعبي وباحث من مواليد 1942 بمدينة الادريسية، بين يديه ديوان شعري مخطوط.

28- مولود قاسم نايت بلقاسم " ردود الأفعال على غرة نوفمبر"، الشركة الوطنية للطباعة والنشر الجزائري، 1985.

29- يحي الشيخ صالح، شعر الثورة عند مفدي زكريا، دار البعث، قسنطينة، ط1، 1987.

**ثالثا: المجلات**

1. حفناوي بعلي، صورة فرنسا الاستعمارية في إلياذة الجزائر، مفدي زكرياء، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، العدد3، جامعة سطيف نوفمبر 2005.

2. د. العرابي محمد ، جامعة طاهري محمد ببشار، الوطن والوطنية بين الشعر الشعبي والفصيح، مجلة كلية التربية الاساسية للعلوم التربوية والانسانية ، جامعة بابل، العدد 41، كانون أول 2018.

3. محمد ناصر، الرمز في الشعر الجزائري الحديث، مجلة الأصالة س10، ع 81، الجزائر .

4. مصطفى بالمشرى، المأساة الفلسطينية في الشعر الجزائري، مجلة الثقافة، العدد 57، الجزائر ماي جوان ،1980م .

**رابعا: المقالات**

1. العقريب نعيمة، مقال بعنوان تجليات المقاومة و النضال في الشعر الشعبي الجزائري، جامعة الجزائر، (د.ت).

**خامسا: الملتقيات**

1. عبد الحميد بورايو، النزعة التاريخية و التوثيقية والحس الملحمي في الشعر الشعبي، الجزائري في منطقة الجنوب، محاضرات الندوة الفكرية السادسة، الملتقى الوطني الموروث الشعبي، الوادي، 2006.

# فهرس المحتويات

| المحتوى | الصفحة |
|---|---|
| شكر وتقدير | |
| الاهداء | |
| ملخص الدراسة | |
| مقدمة | أ-ج |
| مدخل | 10-05 |
| الفصل الأول الشعر الشعبي الجزائري | |
| 1- تاريخ ظهور الشعر الشعبي الجزائري | 16-12 |
| 2- مصطلح الشعر الشعبي ونمطه: | 20-16 |
| 3- الشعر الشعبي الجزائري ومصطلح (الملحون) | 27-20 |
| الفصل الثاني دور الشعر الشعبي الجزائري في الثورة | |
| 1- الشعر الشعبي الجزائري خلال فترة الاحتلال : | 32-29 |
| 2- النزعة الوطنية في الشعر الشعبي | 36-32 |
| 3- المقاومة والثورة في الشعر الملحون | 38-36 |
| 4- الشعر الشعبي ووحدة الشعب وتضامنه | 39-38 |
| الفصل الثالث شعر الوطن في القصيدة الشعبية الجزائرية | |
| 4- نبذة عن توفيق ومان | 43-41 |
| 5- تجليات الحس الثوري في القصيدة الشعبية إبان الثورة | 66-44 |
| 6- البعد الوطني عند الشاعر الشعبي توفيق ومان | 76-67 |
| خاتمة | 78 |
| قائمة المراجع | |
| فهرس المحتويات | |

## ملخص الدراسة

**عنوان المذكرة : صورة الوطن في الشعر الشعبي الجزائري**

**اللقب : دحام الاسم: فاطمة المؤطر : أحمد الشايب ورنيقي**

**الملخص بالعربية:**

الشعر الشعبي الجزائري من انواع الشعر التي ظهرت خلال مراحل الاحتلال الفرنسي والتي كان مدعومة من المقاومات الشعبية التي انطلقت عبر ربوع الوطن، وصولا إلى اندلاع الثورة التحريرية المجيدة وصولا إلى التحرير والاستقلال.

فالشعر الشعبي الثوري امتزج بمقاومات الشعب وبطولاته من خلال التصدي ليجد الشاعر الجو المناسب والبيئة الداعمة لبناء أشعار مدح وتمجيد ودعم للثورة و الثوار من خلال الإبداع في ذكر المحاسن من انتصارات وبطولات .

ليكون الوطن من أهم المصطلحات المذكورة في الأبيات الشعرية من خلال الدعوة إلى الحفاظ عليه والدفاع عليه بالنفس والنفيس، وهذا ما تمكن من بسط الشعر الشعبي الجزائري على الساحة الادبية التي تزخر بأنواع مختلفة من أنواع النثر والشعر ...الخ.

**الكلمات المفتاحية: الشعر الشعبي ، الثورة ، الوطن**

**Abstract :**

Algerian popular poetry is one of the types of poetry that emerged during the stages of the French occupation, which was supported by popular resistance that arose across the country, leading to the outbreak of the glorious liberation revolution, leading to liberation and independence. Popular revolutionary poetry was mixed with the resistance and heroism of the people by addressing the poet to find the appropriate atmosphere and the right environment for the construction of poems of praise and glorification and support for the revolution and to revolutionaries through creativity by mentioning the merits of victories and heroism. So that the homeland is one of the most important terms evoked in poetic verses through the call to preserve and defend it with oneself and the most precious. This is what enabled the extension of Algerian folk poetry on the literary scene, which is full of different types of prose and poetry...etc.

**Keywords: popular poetry, revolution, homeland**